الفصل الثانى

التلـــقي

obeikandl.com

obeikandl.com

نشأت نظرية التلقي في ألمانيا الغربية، وتنسب لجامعة كونستانس، ومن ممثليها : ياوس وآيزر، و الناقد الأمريكي ستانلي فيش الذي اهتم كثيرا بنظرية الاستقبال.

تقوم نظرية التلقي على عدة أمور :

- كيفية تلقي العمل الأدبي والخطابات.
- إبراز الوسائل والطرائق التي تتم بها عملية استقبال الكتابات الإبداعية. ويقصد بها ما يدور في نفس المتلقي من :
  - الافتراض التوقعي المسبق.
  - طرح فرضيات وأسئلة متعلقة بالعمل بشكل مسبق، قبل الدخول إلى القراءة والتحليل والتأويل.
  - وآلية الربط والاستنتاج التي تنبني على خلق الروابط الذهنية واللغوية لخق اتساق النص وانسجامه من أجل إزالة غموض النص وإبهامه.

وتعتمد هذه النظرية على أن الكاتب يترك بياضات فارغة تحتاج إلى ملئها عن طريق التأويل والتفسير والاستنتاج الدلالي والمقصدي.

ويتجلى دور القارئ في ملء الفراغات والبياضات ، والإجابة عن نقط الحذف والصمت والرفض.

كما أن هناك مجموعة من الإشارات والأدلة وآثار النص التي يتركها المبدع لتكون نبراسا للمتلقين، الذين يقومون بدورهم في تفكيك هذه

الإشارات اللغوية والعلامات السيميائية بالشرح أو التأويل وصولا إلى المعنى المفترض الذي يتغير في الزمان والمكان ومن قارئ إلى آخر حسب تغير الظروف التاريخية ، وتحول السياقات الخارجية.

ولقراءة وفهم العمل يجب علينا أن نكون بالفعل على دراية بالرموز التي تستخدمها هذه القراءة .

ويرى آيزر أن المتلقي الحقيقي هو الذي يرتكن إلى القراءة النقدية الإدراكية التي تستشكف الرموز بشكل جيد وواع ، وبطريقة عميقة.

دور المتلقي (القارئ):

إن الشيء الأساسي في قراءة كل عمل أدبي ، هو التفاعل بين بنيته النصية ومتلقيه (أي القارئ).

ولا تظهرجمالية التفاعل إلا من خلال تأمل القارئ واستيعاب وجهات النظر المختلفة التي يقدمها النص ويربط الآراء والنماذج المختلفة بعضها ببعض ؛ إذ أن مهمة المتلقي مقصورة فقط على مجرد الحكم على العمل الأدبي بالحسن أو القبح ، بل هي مهمة واعية يتم فيها التأمل والقدرة على إدراك العلاقات وتكوين صورة شاملة عن النص وما يتضمنه من عناصر الاستحسان أو الاستهجان وما يحيط بالنص من ظروف. فخبرة المتلقي " ليست مقاييس هندسية حادة ، تتعامل مع النص بحسابات جبرية فترفض هذا الشكل لوجود انحراف معين عن زواياه المحددة ، أو تقبل غيره

لتساوقه مع القياس " بل خبرته وذوقه الجمالي هي وسائل استكشاف لعناصر الجمال في النص.

وهذا يقودنا إلى القول إن مهمة التلقي عمل فني مشترك تسهم فيه جهات عدة:

- المبدع صاحب النص بخلاصة التجربة التي عايشها.
- واللغة بما تحمل من معان ودلالات وإيحاءات .
- والدارس أو المتلقي بخبرته الفنية وذوقه الجمالي.

ولا شك أن الصلة العلاقة بين هذه العناصر تشبه " بناء هرميا، قمته النص في لغته ومعطياته، وقاعدته المتلقي والأديب وهي علاقة قد لا تبدو واضحة وضوح الحس بهذا الشكل التنظيمي ولكنها علاقة ذهنية تفرض نفسها على المتلقي ناقدا أو قارئا أو مستمعا."

ولأن العمل الأدبي يقوم بقراءته قراء عدة ، ولذلك تتعدد القراءات وتتنوع " ولكن القراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع معنى النص، وتحترم تماسكه واتساقه وانسجامه ومنطقة الداخلي العضوي، بعيدا عن الإسقاطات الخارجية، والتأويلات البعيدة التي تُقول النص مالم يقله إطلاقا" فنرى منها :

القراءة الشعرية :

وهي تقوم استكشاف أدبية النص، واعتماد البنيوية اللسانية منهجا في التحليل والمقاربة، وفيها يقوم المتلقي بالبحث عن الدلالات المتعددة للنص

من خلال تفكيك بنية النص وإعادة تركيبه ، وتركز هذه القراءة على المتلقي كقارئ خارجي وقارئ مفترض داخل العملية السرديه. وقد توصل تودوروف في دراساته الشعرية والبنيوية إلى أن القراءة الشعرية هدم وبناء وتفكيك. كما أنها قراءة تعنى بقراءة الخطاب صيغة وزمانا، ومنظورا ووصفا. وبالتالي، تتكئ هذه القراءة على التدليل، والترميز والتأويل.

القراءة السوسيونقدية (*sociocritique*):

هي التي تربط الأدب بالمجتمع، ولكن ليس في ضوء الانعكاس المباشر، بل تقرؤه بطريقة جمالية مستقلة في علاقة بالواقع المعطى.

وقد نادى بهذه القراءة : كلود دوشيه، وريمون ماهيو، وبيير زيما وفرانسواز كايار...، ويرون أن هذه القراءة النقدية تهدف إلى : " ممارسة قراءة ذات طابع خصوصي إزاء النص الأدبي، تحترم استقلاليته باعتباره شكلا جماليا، وفي الوقت نفسه، تنصت إلى الطرق التي بواسطتها يتضمن هذا الشكل ما يربطه بشكل آخر أو بالآخر الاجتماعي. فالأمر – إذاً- يتعلق بالقيام بهذه الممارسة، شريطة ألا يتدخل أي نظام خارجي ليفرض أي انزياح عن فهم النص، أو ليقلب الرهانات.

كما يري كلود دوشيه (*Claude Duchet*)أن القراءة السوسيونقدية هي التي تجمع بين النصية أو الجمالية الأدبية والواقع الاجتماعي.أي: تمزج بين الأدب كبنية جمالية مستقلة والمعطى السوسيولوجي كما هو حال

البنيوية التكوينية للوسيان كولدمان، الذي يماثل بين البنية الأدبية المستقلة والبنية الاجتماعية المستقلة بدورها وذلك عن طريق الانعكاس غير المباشر.

القراءة التواصلية:

التي تقوم على وجود ثلاثة أطراف:

- المرسل (الباث ـ المتكلم ـ المتلفظ ـ المرسل ـ المتحدث ـ المبدع).
- والرسالة(النص ـ الأدب ـ الخطاب ـ التلفظ...) .
- والمتلقي(القارئ ـ المرسل إليه ـ المستقبل ـ المتلفظ إليه).

ومن ثم، فالباث أو المرسل هو الذي يسنن رسالة ما سواء أكانت ذهنية أم وجدانية ليرسلها إلى المتلقي، ليقوم بدوره بتفكيكها في ضوء سنن مشترك أو لغة يعرفها كل من المرسل والمرسل إليه.

ويرى رومان جاكبسون أن القراءة التواصلية تقوم على ست عناصر في عملية التواصل:

- المرسل ووظيفته انفعالية.
- والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية.
- والرسالة ووظيفتها جمالية.
- والمرجع و ظيفته مرجعية.
- والقناة ووظيفتها حفاظية.
- واللغة ووظيفتها وصفية تأويلية وتفسيرية.

وفي هذه القراءة يقوم المتلقي بتفكيك هذه العلامات تشريحا وتفسيرا وتأويلها في ضوء تجاربه الشخصية وقدراته وانطباعاته وهويته الذاتية، وينتظر منه أن يثري البلاغ الأدبي بإضافات شخصية من عنده يسلطها عليه.

القراءة الإسلامية:

واضح من عنوانها أنها تعنى بقراءة الأعمال والإبداعات الأدبية في ضوء القيم الأخلاقية والتصور الإسلامي للفن والأدب.

وفي هذه القراءة يتمثل المتلقي المضامين القرآنية وما فيه من هدي وإرشاد و الاقتداء بالسنة النبوية المطهرة وما فيها من سماحة ورشاد والاحتكام إلى الالتزام الإسلامي نظرية وتطبيقا، والابتعاد عن سيء الأخلاق والتصورات الإباحية والابتعاد أيضا عن كل الفلسفات العبثية والوجودية، وتجنب الإسفاف اللغوي وتفادي الغموض والإبهام ، إلاّ إذا كان ذلك الغموض فنيا قد وظف في سياقات جمالية مقبولة.

كما أن القراءة الإسلامية تعنى بالجمال الفني والأدبي وتحرص عليه ولكن في ضوء التعاليم الإلهية والمقاييس الشرعية ، والاهتمام بقيم الحق والخير والعدل والدعوة إلى الصدق، والعمل على تحقيق التناسب الفني والجمالي، والعناية بكل من الجانبين : المادي والروحي .

ومن هذا المنطلق تنبذ القراءة الإسلامية مواطن الضلالة والشرك والغي والإلحاد في النصوص والخطابات، فتعمل على تصحيح المفاهيم وإضاءتها بنور الحق الإلهي .

وفي ضوء القراءة الإسلامية يكون المتلقي عنصرا إيجابيا هاديا مرشدا فاعلا في المجتمع وهناك كثير من الكتاب والنقاد الذين تمثلوا القراءة الإسلامية تنظيرا وتطبيقا ودعوة وتوجيها.

وقد يوجه نقد إلى هذه النظريات القرائية من أنها أغفلت جانبا على حساب الآخر . لذا، فالمنهج التكاملي أو التوفيقي هو أفضل المناهج ؛ لأنه يتناول جميع الجوانب من الأدب، فيدرسها بشكل متكامل.

وفي ضوء المنهج التكاملي يكمن التناول الحقيقي ، حيث يأخذ كل عنصر مشارك في صنع العمل الأدبي حقه :

- مؤلف العمل الأدبي ومبدعه .
- والعمل الأدبي (نثر أو شعرا).
- والمجتمع والبيئة التي قصدها العمل الأدبي أو بيئة المبدع .
- والذوق وما في النص من أحاسيس وجمال .

والنفس وما فيها من ميول وما لها من توجهات ، والمتلقي، وما يتمتع به من قدرات وميول .

وخلاصة القول أن القراءة المثالية هي التي تعني بالنص الموازي والنص الداخلي، وتعنى كذلك بدراسة السياق الخارجي **وما يتضمنه من**: تاريخ، ونفس ومجتمع، وقارئ، وذات، وثقافة، واقتصاد، وبيئة، وعقيدة.

إشكالية القراءة أسباب الضعف والعلاج:

القراءة فرع مهم من فروع اللغة العربية، يأتي - في اعتقادي - في الدرجة الأولى، لذا ينبغي أن نفرد لها مكانا يليق بأهميتها من حيث تعريفها وبيان أسباب الضعف وطرائق العلاج والنهوض بها.

كثيرون ينظرون إلى إشكالية القراءة من جانب أحادي أو بتعبير آخر من منظور أحادي وهو الطالب، ثم الطالب، **ويرجعون أسباب التدني إلى أمور منها**:

- قلة الدافعية لدى الطالب.
- قلة الانتباه والتركيز.
- وجود ضعف في النطق أو مخارج الحروف.
- وجود مشتتات تحول دون تركيز الطالب.

إلى آخر ذلك من الأسباب المتعلقة بالطالب، وكأنه هو وحده سبب المشكلة.

وحقيقة الأمر أن الإشكالية القرائية ينبغي أن ينظر إليها من جوانب ثلاثة وبتعبير آخر من منظور ثلاثي :

١- الطالب .

٢- التلقي .

٣- المعلم (المرشد)

فالطالب حين يقرأ (قراءة جهرية أو صامتة) ينبغي لتكون القراءة مفيدة ناجعة أن يصحبها ما يعرف بـ (جودة التلقي) ، والمقصود بالتلقي هنا: الفهم الجيد والتحليل والتفاعل والاستنباط والوقوف على مستوى ما يقرأ شكلا ومضمونا .

القراءة إذن عملة ذات وجهين:

وجهها الأول : القراءة ، ووجهها الثاني التلقي .

مرحلتان يمر بهما الطالب : القراءة والتلقي .

- ولكي تتم مرحلتا القراءة والتلقي فلابد من وجود معلم مرشد ينظم إيقاع هذه العملية الثنائية .
- نركز ـ كثيرًا ـ على نوعية القراءة : صامتة أو جهرية ، وكيف نقرأ ولا نتعرض في الأغلب الأعم للتلقي وا - اتيجيته وكيفية إتمامه على وجهه الصحيح .
- وغير خاف علينا جميعا أن التلقي الجيد هو الأساس الذي قامت عليه معايير المناهج في مضمونها ومحتواها ، ولكن كثيرا من المعلمين

يغتالون عملية التلقي اغتيالا ، ويذبحونها بسكين المعايير حين يقسمون الدرس إلى أجزاء : فبعد القراءة الصامتة أو الجهرية التي تتم ـ كثيرًا ـ في عجالة ، يتجه بعدها المعلم إلى تناول المفردات والتهجئة معللا ذلك بالسير على نهج المعيار والالتزام به وتطبيقه ، يتم ذلك في جزء ضئيل من الحصة ، ثم تنقلب الحصة تلقائيا إلى حل لأسئلة الكتاب (سؤال وجواب)، حرصا من المعلم على حل استيعاب أسئلة الكتاب وحلها كاملة مع الطالب ، مخلفا وراءه :

- محتوى لم يتم فهمه ومضمونا لم يختمر في ذهن الطالب .
- أفكارا لم تحدد بعناية .
- تذوقا لبعض العبارات لم يتم تناوله .
- تحديدا لسمات الكاتب لم يتم الوقوف عليها .

وتنتهي قراءة الموضوع ولما يتحقق الهدف الأسمى من القراءة ولم ننهض بقدرات الطالب ومهاراته ، فإذا ما أقبل الامتحان ووضع للطالب نص قرائي (شعري أونثري).

يضل الطالب في ساحته ، ولا يملك لنفسه حولا ولا قوة ، ويخفق في التوصل إلى في النص من تحليل واستنتاج وتذوق وتعليل .

لذا كان التركيز على كيفية التلقي أمرا مهما ، عملية التلقي تمر بعدة مراحل :

- قراءة أولى يتم فيها تعريف بأهمية الموضوع أو بمناسبة النص والشاعر أو كاتب النص والغرض من النص وما يتضمنه من فكر .

(قد يتعلل المعلم بعدم وجود المعايير التي تفعل هذا المطلوب) ونقول له : المعايير موجودة ؛ ليس من الضروري تناولها بالترتيب .

- قراءة ثانية يتم فيها تناول المفردات والأساليب وجماليات النص أو بلاغة بعض الأساليب ، وتفضيل الكاتب لأسلوب دون آخر .
- قراءة ثالثة يتم فيها الوقوف على سمات أسلوب الكاتب أو خصائص أسلوب الشاعر ، وتقييم المحتوى ، وإبراز ما في الموضوع من إيجابيات وسلبيات .

مع مراعاة ألا تتم تجزئة هذا التناول ، بمعنى أننا في الوقت المحدد للحصة إذا تم تناول المحتوى برجه عام واستنباط أفكاره فلا باس من الإشارة إليها والتذكير بها في إيجاز في الحصة التالية ، ثم يتم تناول بقية إستراتيجيات التلقي حتى تؤتي أكلها وتقوى ملكات الفهم والتحليل والاستنباط لدى الطالب .

ومع هذا كله لا ننسى تكامل فروع المادة من خلال ما يتم من التلقي تفعل فيه مهارات الكتابة والتحدث والاستماع والقواعد ، على أن يتم

ذلك تلقائيا من خلال تفاعل الطلاب، مؤكدين أن حصة القراءة التي لا تتكامل فيها فروع المادة حصة يعتورها الضعف والنقصان .

أما دور المعلم (المرشد) فهناك عدة اعتبارات ينبغي فيها على المعلم :

١- أن يستشعر أهمية القراءة ويؤمن بما لها من دور فعال .

٢- أن يعد نفسه إعدادا ذهنيا ، ويقرأ عن الموضوع من مصادر متعددة ويثري محصوله اللغوي والمعرفي في المحتوى الذي ينصب عليه الموضوع (هناك من يتعلل بكثرة الأعمال المطلوبة من المعلم ممثلة في: التحضير وتصويب الدفاتر، وما تطلبه الإدارة من أعمال ... إلخ). وأقول للأخ الزميل (بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره) يستطيع المعلم أن ينتزع لنفسه الوقت المطلوب (إذا أراد !!!!!!)

٣- أن يكون لديه من الحماس لرسالته التعليمية ما يعينه على الارتقاء بمهارة القراءة والتلقي ، والأخذ بيد الطالب ، واضعين في الاعتبار أن فاقد الشيء لا يعطيه .

٤- أن ينمي في الطالب مهارة :

- استنباط الأفكار .
- تحليل النص .
- الموازنة والمقارنة .
- الوقوف على دلالات الكلمات وما بينها من فروق.

- فهم ما بين السطور وما هو مخبوء في ثنايا الأسلوب .

ولا يتأتى ذلك كله ولا يتحقق للمعلم إلا إذا فعل ما تفعله النحلة يجمع للطالب من هنا وهناك من النصوص القصيرة المختارة التي تجذبه وتستهويه وتعينه على الاستنباط والتحليل والموازنة والتذوق ، ليخرجه - بعد ذلك - علما وعسلا طيبا فيه شفاء للناس وفق الله الجميع لما فيه الخير والرشاد .

جدلية القراءة والتلقي:

حراك دائم لا ينقطع تتشكل بنية النص الأدبي من عنصرين اثنين : الملفوظ اللغوي ، والتأثير الشعوري في القارئ ، ولا يكون للنص وجود إلا بالمشاركة الفعالة بين :

- المؤلف مبدع العمل الأدبي ومكون أجزائه.
- النص بعنصريه الأساسيين : الشكل والمضمون .
- القارئ أو المتلقي الذي يطلع على ما أنتجته قريحة المبدع .

والرابط بين أضلاع هذا المثلث هو القراءة والتلقي .

وكانت أواسط الستينات مؤذنة بظهور نظرية التلقي على يد النقاد الالمان ، كما كان من روادها : هانس رويرت ، وفولفغانغ إيزر وغيرهما .

وجدير بالذكر أن ظهور هذه النظرية كان أمرًا ضروريا كرد فعل للمناهج السابقة التي انصب محتواها على النص الأدبي ، أو على المبدع دونما أي اهتمام بالقارئ .

ومما يحسب لهذه النظرية أنها أعادت الاهتمام بالقارئ ، واعتبرته محورا أساسيا في العملية الأدبية لكونه المعنيّ الأول بالخطاب الأدبي .

وإن كان من سبق في هذا الاعتبار فيحسب لأجدادنا العلماء العرب السابقين ؛ إذ فطن شيخ العربية العالم الجليل عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية دور القارئ في تلقي العمل الأدبي ومدى مشاركته في العملية الأدبية فتوجه بالكلام إليه ، وخصه بالحديث في مواضع كثيرة مما كتب، وحرص على تبصرته بخفايا العمل الأدبي وكيف يتناوله وكيف يُحكم تأويله مبينا أنه (لا يعلم تأويله إلا الراسخون) ، وانظر إليه يهدي القارىء إلى كيفية قراءة العمل الأدبي والوصول إلى مكوناته ، وكيف ينظر إلى الأسلوب وتأويل المعنى في تدرله :

" لا نظم في الكلم ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذا بسبب من تلك .. وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس .."

والمتلقي عنده كالغواص الماهر ، يبذل الجهد وينصب حتى يحصل على اللآلىء والأصداف ، يقول : " فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشق عنه، أو كالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ..."

ولكي تقرأ العمل الأدبي ينبغي أن تسلك سُبلا وطرائق من قراءات متعددة مختلفة تتم حيال النص الأدبي نذكر لك منها :

١- القراءة النفسية :

وهي تتم في ضوء المقاربة النفسية ، التي ارتاد معالمها سيجموند فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي حين اكتشف منطقة اللاشعور ، وربطها بالأنا والأنا الأعلى ، وفي ضوء هذه القراءة يفسر العمل الأدبي ويقرأ من خلال العقد النفسية مثل :

- عقدة أوديب
- عقدة إليكترا
- النرجسية
- التعويضية
- الكبت
- التسامي

٢- القراءة التأويلية :

التي تقوم على اكتشاف معاني النص ، وما يزخر به من دلالات وإيحاءات وهذا ما أشار إليه (غادامير) في كتابه (الحقيقة والطريقة) عام ١٩٧٥ م ، إذ يبين أن العمل الأدبي ليس جامدا بل يمر عبر سياقات تاريخية وثقافية مختلفة ، كما يرى (غادامير) " أن تأويل النصوص والأعمال الأدبية يتم عبر التحيز واستكشاف العادات والتقاليد التي تشترك فيها جميع مؤلفات الأدب .."

obeikandl.com

٣- القراءة التفكيكية :

وهي التي نادى بها الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) ، وفي ظلالها تنصب القراءة على محتوى النص الأدبي ، وتقوم على تقويض نظامه وبنيته سعيا إلى فهمه من خلال الكشف عن المتضاد والمتناقض والمختلف والمتنوع في إطار ثقافات متعددة .

وللقارئ حرية ما يتبع من قراءات ، وقد يجمع أكثر من واحدة في تناول نص بعينه وفي النص الذي سنعرضه ، وهو للمعتمد بن عباد ، أمير أشبيلية في دولة الأندلس ، لا نستطيع فهمه دون الرجوع إلى الحالة النفسية التي كان عليها كاتب النص .

ومن منظور القراءة النفسية نستطيع الولوج إلى رحبة النص وفهم معانيه ، ولا يتأتى ذلك دون معرفة مناسبة النص ، والتي كانت في دولة الأندلس وتتلخص في ذهاب المعتمد بن عباد إلى فتح (مالقة) ، ومعه أخوه (جابر) ، ولم يمض قليل على فتحها حتى عاد (باديس الصنهاجي) فانتزعها منهما ، واضطر المعتمد وأخوه إلى الفرار إلى (رندة) ، وقد أثارت هذه الحادثة غضب والده الأمير الفارس ، فظل المعتمد يستعطف أباه ويعتذر عما فرط في قصيدته الرائية التي تعد أطول قصائد المعتمد جميعا يقول في بعض أبياتها :-

سَـــكّن فُـــوادكَ لا تَذهَـــب بِـــهِ
الفِكَرُ ماذا يُعيد عَلَيكَ البَـثُّ وَالحـذرُ؟
وَاصبر فَإِنَّـكَ مِـن قـومٍ أُولـي جلَـدٍ
إذا أَصابَتهـــم مَكروهَـــةٌ صَبَـــروا
وَإِن تَكُـن خيبَـةٌ فـي الدَهـرِ واحِـدَةٌ
فَكَـم غَـدَوتَ وَمـن أشياعـك الظَفـرُ
ضَـيغَماً يَقتُـلُ الأَبطـال مُفتَرِسـاً
لا توهنّنّـي فَإِنّـي النـاب وَالظُفـرُ
قَـد أَخلَقتَني صُـروف أَنـتَ تعلمهـا
وَقـالَ موردهـا مـا لـي بهـا صـدرُ
لَـم يـأت عبـدُك ذنبـا يَستَحِـقُ بـه
عُتبـى وَهـا هُـوَ نـاداكَ يَعتَـذِرُ
مـا الذَنبُ إِلّا عَلى قَـومٍ ذَوي دَغَـلٍ
وَفى لَهُم عهـدُك المعهـود إذ غـدروا
قَـومٌ نَصيحتُهُـم غِـشٌ وصدقهـمُ
مَيـنٌ وَنَفعهـم إن صُرّفـوا ضَـرَرُ
يُمَيِّـزُ البُغض في الألفـاظِ إن نَطَقـوا
وَيعرَفُ الحِقـدُ في الأَلحـاظ إن نَظَـروا

مَــولاي دعــوةَ مَملــوكٍ بــهِ ظمــأ

بـرح وَفي راحَتَيـكَ السَلسَـلُ الخضـرُ

أَجِــب نِــداءَ أَخــي قَلــبٍ تملّكَــهُ

أَســى وَذي مُقلَــة أودى بهــا السَهَــرُ

رَضـاكَ راحَـةَ نَفسـي لا فُجِعـتُ بِـهِ

فهــوَ العَتــادُ الّــذي لِلدهــر أَدّخِــرُ

وَإِنَّمـا أَنـا سـاعٍ فـي رِضـاك فَـإِن

أَخفَقـتُ فيـه فَـلا يُفسَـح لـيَ العُمُـرُ

ولما أن عرفنا حالة المعتمد بن عباد النفسية السيئة نستطيع تأويل النص بالوقوف على عدة أمور تبرز من خلال الشكل والمضمون وتبين مقررة الشاعر منها :

هذا الاستهلال الطيب والافتتاح بفعل الأمر (سكن) وما يحمل من طلب والتماس يمهد لقضيته التي يعرضها ، وما في الفعل من دلالة صوتية نابعة من حروف الفعل (س- ك – ن) فالسين والكاف حرفان مهموسان يناسبان التمهيد الذي قصد إليه الشاعر ، لينتهي الفعل بالحرف المجهور (النون) ، ولتحقق دلالة حروف الفعل الصوتية الواضحة ما قصد إليه الشاعر من حسن التمهيد وتهيئة والده الأمير لسماع ما سيبدي من اعتذار

ويزيد في هذه التهيئة وما تحمل من رضا وقبول استخدام صيغة الأمر (واصبر) حتي ينزل الاعتذار بردا وسلاما على قلب والده الأمير الفارس الشاعر الذي يدرك مواطن البلاغة ومكامن الفصاحة .

وبعد هذا الاستهلال الطيب ، يشيد بوالده الأمير ويطريه بما فيه من صفات الفروسية والبطولة ، فيبين أنه الضيغم الفاتك الذي – كثيرًا – ما حقق النصر وفتك بالأعداء ، وكثيرًا ما رجع جيشه من المعارك ، وقد خفقت راياته ، وعلت هاماته وهو بذلك لا يتزيد ، إنما يوفيه حقه .

وفي ثنايا النص ينحي باللائمة على بعض حلفائه الذين غدروا به وتخلوا عنه ويخصهم بصفات الغش ، والدغل والحقد ، وما أضمروه له من ختل وموارية وخداع وأنهم تركوه فردا يواجه مصيره وما آل إليه من خزي وهزيمة .

وعلى المستوى الأسلوبي تتضح من خلال القراءة أمور منها :

- التنوع الملموس بين الخبر والإنشاء مثلاً في :
- صيغ الأمر في قوله : سكن فؤادك – اصبر – أجب نداء ، وهي صيغ أريد بها الالتماس وطلب العفو .
- صيغ النداء مثل : يا ضيغما مولاي ، والتي أريد بها التعظيم والإشادة .
- أما الخ ، في قوله : رضاك راحة نفسي ، وفي قوله : إنما أنا ساع في رضاك ، فالغرض منه التقرير والتمني .

وفي الأبيات صور جمالية تناسب الجو النفسي للأبيات :

- الاستعارة في قوله : لا تذهب بك الفكر .
- وفي قوله : أودى بها السهر .
- والتشبيه في قوله : إني الناب والظفر.

فضلا عما في النص من محسنات لفظية أسهمت في إبراز المضمون وعاطفة الشاعر، كالطباق بين: نصح ، وغش، وبين : نفع وضرر، وبين : وفى وغدر.

وحسن التقسيم البيّن في قوله :

قوم نصيحتهم غش وصدقهم مين

ونفعهم إن صرفوا ضرر

وقد وفق في اختيار البحر البسيط ليوقع على تفعيلاته أنغام قصيدته فضلاً عن دقته في اختيار حرف الروي الراء المضمومة وما تحمل من دلالة صوتية تناسب حالته السيئة إثر الهزيمة .

إن القراءة الأولى أو الثانية قد لا تكشف لك مكنونات الأسلوب وخبايا النص وقد لا تتبين لك أبعاد القصيد وحدوده إلا بعد الروية والتلقي وما يصحبهما من إمعان الفكر ، وعندئذ تتكشف لك خارطة النص ومعالمه ، والعناصر التي شكلت بنيته .

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية

obeikandl.com

obeikandl.com

عبر هذه الصفحات التالية نتناول عددا من النصوص تم اختيارها بعناية ونقدم لها ما توصلنا غليه من قراءات : تواصلية أو سوسيونقدية أو إسلامية حسب طبيعة النص أو ما نراه مناسبا .

خطواك على الأعراف :

سعد مصلوح

طال السرى وخطاك ترتجف ... وأراك لا تلوي ولا تقف

يا أيها المزجي مطيته ... في حيث لاماء ولا علف

أقْصِر فدونك قُنَّةٌ صَعَدُ ... وانظر فتحتك هُوَّةٌ جُرُف

دنياك تشنأ كل عارفة ... ولها بكل نقيصة شغف

جاوزتَ في عميائها زمَنًا ... قوما على أصنامهم عكفوا

وبها تورك – غير مكترث- ... الكارثان : الجهل والصَلَف

أحرارها أنضاءُ معركة ... أبطالها الأنكاسُ والكشُف

فرأيت ثم رأيت خارقة ... أن راح يرْضَخُ صخرَك الخَزَفُ

وشهدتَ سابقَهم على ظَلَعٍ ... وسمعتَ ناعقهم ومن هتفوا

وعجبت كيف يزين بهْرَجَه ... زور المقال ويأثم الحلف

والباز كيف يَبَزُّه رَخَم ... والدُرُ كيف يَعَزُّه الصَدَفُ

أوْصت بنا الأيام مُشْبِهَهَا ... وَوَصَاتُهُن الإثمُ والجَنَفُ

نكـــتالها بيـــد مُطَـفِّفَـــةٍ قد أَخْسَرَتْ وَمَكِيلُها الخَشَـفُ

اللـــهَ في أرضٍ معـانـقـــةٍ نهـرَ الجنـونِ رياضُـها الأُنُـفُ

حتـى إذا يأجوجهـا نَسَـلت ووراءهـا مأجُـوجُها رَدِفـوا

تُشْـلي جِـراءَ الشـر نابِحَـة وتصـول فيهـا خـيلها العُجُـف

جُـنَ الحِجـا فـدعا مـؤذنه ويـل لمـن عرفـوا وما اغترفـوا

فـالواردُوهُ لهـم مُسَهَّلَـةٌ أوعـارهـا وتُوَطَّـأُ الكُنُـف

ركبـوا معارجهـا وقـد جعلـت لبيوتهـم مـن فضـة سُـقُفُ

يـا أيهـا المُغضـي علـى حَسَـكٍ قـلبا يـذوب ودمعـة تَكِـف

شـارفت يـاء العمـر فانبعثـت ذِكَـرٌ يجـر نظـيمها الألـف

ترجـو غدا ؛ وغـد مخـدرة قد أرخيت من دونها السجف

خفيت فـلا هـي كاعـب غـنج يـدرى بهـا أم عاقـر نـصـف

مـاذا تـرى يجـديك إن رجفـت منـك الخُطـا وتحـير الهـدف؟

أمعـاندا والقـول مسـتبق؟ رفـع اليراع وجفـت الصحـف

أمـس انقضـى، واليـوم سـانحة وغـد بـه للخـير مزدَلَـف

وطئـت خطـاك الشـوك محتفيـا مـا غـرها لـين ولا شـظـف

وجبلـت عـزا لا يهـون بـه يعلـو العـلاء ويشـرف الشـرف

تلـك الحيـاة سَـرورها خـلس تمضـي وجـزل عـطائها نتـف

كـم ذا أسـفت وكـم نـدمت لهـا فاليـوم لا نـدم ولا أسـف

فلقـد عـرفت قـديم عادتهـا وجهلـت أنـى تؤكـل الكتـف

- حَسَك : شوك
- ظُلُع : ميل وضعف
- برضخ : يكسر
- تورك : جلس وتربع
- نَصَفٌ : في منتصف العمر
- الأعراف : الأرض أو الثمار
- تشلي :ترى

❖ مجلة الشعر : العدد ١٤٠ شتاء ٢٠١١ م.

obeikandl.com

الدكتور

سعد عبد العزيز مصلوح

ولد عام ١٩٤٣ من مواليد منسفيس في محافظة المنيا. حصل على ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٦٣ وعلى الماجستير من نفس الكلية ١٩٦٨، والدكتوراه من جامعة موسكو ١٩٧٥. عمل معيداً بكلية دار العلوم ١٩٦٤، فمدرساً مساعداً، فمدرساً ١٩٧٥، بعدها أستاذاً مساعداً ١٩٨٠، ثم أستاذاً بكلية الآداب فرع بني سويف ١٩٩٢، وقد عمل أثناء ذلك أستاذاً مشاركاً في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز ١٩٨٠، وخبيراً بمعهد الخرطوم الدولي المنظمة العربية. ثم أستاذاً بكلية تربية الأساسية بدولة الكويت حاليا أستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت.

مؤلفاته:

الشاعر والكلمة :

- مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام .
- دراسة السمع والكلام .
- حازم القرطاجني .
- المسلمون بين المطرقة والسندان .
- الشعر العربي الحديث.
- دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة .

- الأسلوب ـ في النص الأدبي.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية.
- نحو العربية (مع عبد اللطيف الخطيب) ـ التدريب اللغوي (مع عبد اللطيف الخطيب) اتجاهات البحث اللساني (ترجمة مع ود وفاء كامل فايد) نحو أجرومية للنص الشعرية.
- حصل على الجائزة الأولى في المسابقة الأدبية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧١. حصل الدكتور سعد مصلوح علي جائزة الشيخ زايد للكتاب في فرع الترجمة عن كتابه "في نظرية الترجمة اتجاهات ٢٠٠٩.
- ممن كتبوا عن شعره وأطروحاته العلمية:

مازن الوعر، محمد شفيع السيد، صلاح فضل، عبد الغني الغذامي، محمد مندور، مصطفى عبد اللطيف السحرتي وقال عنه د. إيهاب : إن د.سعد مصلوح آخر أحفاد شوقي .

قراءة النص :

أبيات الشاعر للقراءة الأولى تشي بمعاناته في حياته ، وما لقيه فيها من عنت ونصب ،وأنه لقي من دنياه ما جعله يتبرم ، ويأسف حين لا أسف :

كم ذا أسفت وكم ندمت لها فاليـ ـ لا ندم ولا أسف

ويبدو أنه قد عاش عمره طيب القلب حسن السريرة ، حسن الظن بالأصدقاء والناس من حوله ، فهاله مما لقي من لجاج وجدل وختل وخداع وتبين له أنه لم يعرف من أين تؤكل الكتف :

فلقد عرفت قديم عادتها وجهلت أنى تؤكل الكتف

ويعجب الشاعر من صولة الجهل والظلم ، ولعله يقصد ما يشاهده في أحداث العالم من ظلم وتعد وعدوان من دولة على أخرى ، أو لعله يلمح إلى مالقيه من ظلم وما صادفه من جهل الجاهلين وعدوان الظالمين ، وربما هذا وذاك معا ، فإذا كانت هذه الأيام قد انصرمت بما تحمل في طياتها من جور وعنت ، فإنه يأسى على عمر تولى وصار يعيش في يائه بعد أن عانى من ألفه :

ياأيها المُغضي على حَسَكٍ قلبا يذوب ودمعة تَكِف

شارفت ياء العمر فانبعثت ذِكَرٌ يجر نظيمها الألف

ترجو غدا ؛ وغد مخدرة قد أرخيت من دونها السجف

خفيت فلا هي كاعب غنج يدرى بها أم عاقر نصف

ماذا ترى يجديك إن رجفت منك الخُطا وتحير الهدف؟

أمعاندا والقول مستبق؟ رفع اليراع وجفت الصحف

أمس انقضى، واليوم سانحة وغد به للخير مزدَلَف

وطئت خطاك الشوك محتفيا ما غرها لين ولا شظف

وجبلت عزا لا يهون به يعلو العلاء ويشرف الشرف

ثم يعجب الشاعر من دنياه كيف ضاع الحق واختلطت الأمور فالزور هو زينة الدنيا وبهرجها ، ويأسى الشاعر لتردي الأمور وانقلاب الأوضاع ، فإذا صغار الطير تزري بالباز وتقلل من شأنه ، والصدف يسمو بقامته على الدر تيها وعجبا وتفاخرا .

وعجبت كيف يزين بهْرَجَه زور المقال ويأثم الحلف

والباز كيف يَبَزُه رَخَم والدُرُ كيف يَعَزُه الصَدَفُ

لذا فقد حار امره في دنياه العجيبة ، وصار لا يدري كنهها ، فلا هي كاعب حسناء ولا هي عاقر نصف .

خفيت، فلا هي كاعب غنج يدرى بها أم عاقر نصف

ولأنه عانى كثيرا فقد أكسبته المعاناة حنكة ودراية وتركت في نفسه انطباعا عن الدنيا لذا يورد الحكمة ناصحا غيره في قوله :

تلك الحياة سرورها خلس تمضي وجزل عطائها نتف

سرور الدنيا يأتي خلسة ويمضي سريعا ، وما فيها من عطاء كثير لا يصل الإنسان إلا قطعا صغيرة حتى يضيع معناه فلا يكاد المرء يشعر به .

والشاعر إذ يبين هذه الأمور فإنما يلمح في قصيده التناص مع آي القرآن الكريم ومحكم التنزيل فغننا نلمح التناص الجميل في قوله :

أوْصت بنا الأيام مُشْبِهَهَا وَوَصاتُهُن الإثمُ والجَنَفُ

نكتالها بيد مُطَفِّفَةٍ قد أَخْسَرَتْ وَمَكِيلُها الحَشَفُ

اللهَ في أرضٍ معانقةٍ نهرَ الجنونِ رياضُها الأُنُفُ

حتى إذا يأجوجها نَسَلت ووراءها مأجُوجُها رَدِفوا

في مأخوذة من قول الله تعالى :

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ...﴾

[البقرة:١٨٢]

وقوله :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين:١-٣]

وقوله تعالى :

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾

[الأنبياء:٩٦]

أما مفتتح القصيدة فما أروعه ! بدأ القصيد متكئا على استخدام الفعل الماضي بما يحمل من تحسر وألم في قوله(طال) مشيرا إلى المسير وليس مسيرا مريحا في النهار إنما هو السير ليلا ، وكأن دنيا الشاعر وسيره فيها كان موحشا مظلما .

ثم جاء النداء منبها متحسرا في البيت الثاني يتلوه الأمر في البيت الثالث(أقصر) منظومة من الأساليب جعلت من افتتاحية القصيدة مثيرا ومنبها للقارىء ،انظر إلى مفتتح النص الرائع :

طال السرى وخطاك ترتجف وأراك لا تلوي ولا تقف

يا أيها المزجي مطيته في حيث لاماء ولا علف

أقصر فدونك قُنَّةٌ صَعَدُ وانظر فتحتك هُوَّةٌ جُرُف

أما مظاهر الجمال ففيها من الخيال الراقي ما يأخذ الألباب مثل :

دنياك تشـنأ كل عـــارفة ، وهو تصوير استعاري .

ولها بكل نقيصـــة شـغف ، تصوير استعاري .

قوما على أصنامهم عـكفوا على سبيل الكناية .

ومن المحسنات البديعية الجميلة :

التوشيع في قوله ، (الكارثان : الجهـل والصَلَـف)

والطباق في قوله ، (أبطالها الأنكاسُ والكـشـُـف)

واختيار البحر الشعري يدلان على اكتمال التجربة واستوائها في نفس الشاعر ؛ إذ اختار لها الملل وزنا ، وجعل رويها الفاء المضمومة بما يحمل هذا الحرف المضموم من فخامة وعلو جرس .

(أنا وليلى)

الشاعر المبدع حسن المرواني

يا ليلى كثيرا ما يسألوني ما دامت قد رفضتك

لماذا لا تبحث عن واحدة أخرى؟؟؟؟؟؟؟

أتدرين ما كنت أقول لهم ؟!!!!

لا بأس أن أشنق مرتين

لا بأس أن أموت مرتين

ولكني وبكل ما يجيده الأطفال من إصرار

أرفض أن أحب مرتين

دَعْ عَنكَ لَوْميْ وَ أعزفْ عَنْ مَلامَـ ـْ

إنيْ هَويتُ سَريعاً مِنْ مُعَانَاتيْ

دينيْ الغَرَامُ وَ دَارُ العِشقِ مَمْلَكتيْ

قَيسٌ أنَا وَ كِتابُ الشِعْرِ تَوْرَاتيْ

مَا حَرمَ اللهُ حُباً فِيْ شَريعَتِهِ

بَلْ بَارَكَ اللهُ أحلامِيْ البَريئَاتِ

أنَا لَمِنْ طِينَةٍ وَ اللهُ أودَعَهَا
رُوحَاً تَرِفُ بهَا عَذبُ المُناجَاةِ
دَعِ العِقَابَ وَ لا تَعْذلْ بِفَاتِنَةٍ
مَا كَانَ قَلبِيْ نَحيتٌ من حِجَارَاتِ
إنيْ بِغَيْرِ الحُبِ أخشابُ يابسةٌ
إني بغيرِ الهَوَى أشباه أمواتِ
إني لَفيْ بَلدةٍ أمسَى بسيرها
ثوبُ الشَريعةِ في مخرق عاداتي
يا للتعاسة من دعوى مدينتنا
فيها يعد الهوى كبرى الخطيئاتِ
نبض القلوب مورق عن قداستها
تسمع فيها أحاديث أقوال الخرافاتِ
عبارةٌ عُلِقَتْ في كل منعطفٍ
أعوذ بالله من تلك احماقاتِ
عشقُ البناتِ حرامٌ في مدينتنا
عشق البنـ تِ طريقٌ للغوايات

إياك أن تلتقي يوما بامرأة

إياك إياك أن تغري الحبيباتِ

إن الصبابةَ عارٌ في مدينتنا

فكيف لو كان حبي للأميراتِ؟

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

سمراءُ ما كان حزنيْ عُمراً أبددُهُ

ولكني عاشقٌ و الحبُ مأساتيْ

الصبح أهدى إلى لأزهارِ قبلتَهُ

و العلقمُ المرقدُ أمسى بكاساتيْ

يا قبلةُ الحبِ يا من جئت أنشدُها

شعراً لعل الهوى يشفي جراحاتي

ذوت أزهار روحي و هي يابسة

ماتت أغاني الهوى ماتت حكاياتي

ماتت بمحراب عينيك ابتهالاتي

و استسلمت لرياح اليأس راياتي

جفت على بابك الموصود أزمنتي

ليلى و ما أثمرت شيئا نداءاتي

أنا الذي ضاع لي عامان من عمري

و باركت وهمي و صدقت افتراضاتي

عامان ما لاف لي لحن على وتر

و لا استفاقت على نور سماواتي

اعتق الحب في قلبي و أعصره

فأرشف الهم في مغبر كاساتي

و أودع الورد أتعابي و أزرعه

فيورق شوكا ينمو في حشاشاتِ

ما ضر لو عانق النيروز غاباتي

أو صافح الظل أوراقي الحزيناتِ

ما ضر لو أن كف منك جاءتنا

بحقد تنفض الآمي المريراتِ

❖❖❖❖❖

سنينٌ تسعٌ مضتْ و الأحزانُ تسحقُنيْ

و مِتُ حتى تناستني صباباتيْ

تسعٌ على مركبِ الأشواقِ في سفرٍ

و الريح تعصف في عنفٍ شراعاتِ

طال انتظاري متى كركوك تفتح لي

دربا إليها فأطفي نار آهاتي

متى ستوصلني كركوك قافلتي

متى ترفرف يا عشاق راياتي

غدا سأذبح أحزاني و أدفنها

غدا سأطلق أنغامي الضحوكاتِ

ولكن نعتني للعشاق قاتلتي

إذا أعقبت فرحي شلال حيراتِ

فعدت أحمل نعش الحب مكتئبا

أمضي البوادي و أسماري قصيداتي

ممزق أنا لا جاه و لا ترف

يغريك فيّ فخليني لآهاتي

لو تعصرين سنين العمر أكملها

لسال منها نزيف من جراحاتي

كل القناديل عذبٌ نورُها وأنا

تظل تشكو نضوب الزيت مشكاتي

لو كنت ذا ترف ما كنت رافضة

حبي...ولكن عسر الحال مأساتي

فليمضغ اليأس أمالي التي يبست

و ليغرق الموج يا ليلى بضاعاتي

❖❖❖❖

أمشي و أضحك يا ليلى مكابرةً

علي أخبي عن الناس احتضاراتيْ

لا الناسُ تعرف ما خطبي فتعذرني

و لا سبيل لديهم في مواساتيْ

لاموا افتناني بزرقاء العيون ولو

رأوا جمال عينيك ما لاموا افتناناتي

لو لم يكن أجمل الألو ـ أزرقها

ما اختاره الله لونا للسماواتِ

❖❖❖❖❖

يرسو بجفني حرمان يمص دمي

و يستبيح إذا شاء ابتساماتي

عندي أحاديث حزن كيف أسطرها

تضيق ذرعا بي أو في عباراتي

ينزلُ من حرقتي الدمع فأسألهُ

لمن أبث تباريحي المريضاتِ

معذورةٌ أنت إن أجهضتِ لي أمليْ

لا الذنب ذنبك بل كانت حماقاتي

أضعتُ في عَرَضِ الصحراءِ قافلتيْ

و جئت أبحث في عينيك عن ذاتيْ

و جئت أحضانك الخضراء منتشياً

كالطفل أحمل أحلامي البريئاتِ

أتيت أحمل في كفي أغنيةً

أجترها كلما طالت مسافاتيْ

حتى إذا انبلجت عيناك في أفقٍ

و طرز الفجرُ أياميْ الكئيباتِ

غرست كفك تجتثين أوردتيْ
وتسحقين بلا رفق مسراتيْ

❖❖❖❖

واغربتاه...مضاعٌ هاجرتْ سفني
عني وما أبحرت منها شراعاتيْ
نفيتُ واستوطنَ الأغرابُ في بلديْ
ومزقوا كل أشيائي الحبيباتِ
خانتكِ عيناكِ في زيفٍ و في كذبٍ؟
أم غرك البهرج الخداع ..مولاتي؟
توغلي يا رماحَ الحقدِ في جسدي
ومزقي ما تبقى من حشاشاتي
فراشةٌ جئتُ ألقي كحل أجنحتي
لديك فاحترقت ظلماً جناحاتي
أصيح والسيف مزروعٌ ـ صرتي
والغدر حطم أمالي العريضاتِ

❖❖❖❖

obeikandl.com

هل ينمحي طيفك السحري من خلدي؟

و هل ستشرق عن صبح وجناتي؟

ها أنت أيضا كيف السبيل إلى

أهلي ودونهم قفر المفازات؟

كتبت في كوكب المريخ لافتةً

أشكو بها الطائر المحزون آهاتي

وأنت أيضا ألا تبتْ يداكِ إذا

آثرت قتلي واستعذبت أناتي

من لي بحذف اسمك الشفاف من لغتي

إذا ستمسي بلا ليلى حكاياتي

إذا ستمسي بلا...ليلى حكايـــــاتي

❖❖❖❖❖

هذه الأبيات الرائعة التي كتبها الشاعر حسن المرواني تبين في جلاء ووضوح عن شاعرية دفاقة وحس مرهف، وللقصيدة قصة ومناسبة نوجزها قبل أن نبدأ في قراءتها: حسن المرواني شاب من أهالي الزعفرانية وهي منطقة من مناطق بغداد وهو شاب رزين خلوق، من أسرة فقيرة، التحق بكلية الآداب جامعة بغداد وخلال دراسته فيها تعلق قلبه بفتاة فاتنة من

محافظة كركوك وتدعى (سندس)، لذا فاسم (ليلى) كنية عن فتاته وصارحها بحبه فوجد منها إعراضا وصدودا فلم ييأس وعاود الكرة معها بعد عامين و عادت وصدته ، فأثارت شجونه وحركت أحاسيسه فتفجرت شاعريته ، ولما خطبت الفتاة لشخص غني منتسب إلى نفس الكلية أحس بجرح نافذ ، وقهر شديد ، فكتب هذه القصيدة التي تفيض بمشاعر الأسى والإحساس بالغبن ، وألقاها مكسر القلب فائض الشاعرية في إحدى قاعات كليه الآداب وكانت سندس موجودة وعند انتهائه من القصيدة خرجت سندس من القاعة مسرعة تبكي وطالب الحضور من الشاعر إعادتها فوافق بشرط أن تعود سندس إلى القاعة وفعلا أقنعوها وعادت وألقاها مرة أخرى .

ولجمال القصيدة وروعتها غناها المطرب العراقي (كاظم الساهر) الذي عانى كثيرا حتى وصل إلى مؤلف القصيدة ، وللطريقة التي حصل بها كاظم على هذه القصيدة قصة مفادها أنه في فتره الثمانينات كانت تصدر جريدة شبابية الأكثر انتشارا في الوسط الشبابي في العراق وكانت متميزة في كل شيء وكانت من ضمن صفحات هذه الجريدة صفحة للمساهمات الشعرية وفي أحد الأعداد تضمنت هذه القصيدة فوقعت العين الساهرية على هذه الكلمات الرائعة فأخذ بالبحث عن قائ ولكثرة مدعي كتابتها لج كاظم الساهر إلى طريقة (أكمل القصيدة) وكل من ادعى كتابتها لم يستطع إكمالها حتى وصل إلى كاتبها الحقيقي وهو الشاعر المبدع (حسن المرواني)

وجدير بالذكر أن الذي ساعد كاظما في الوصول إلى الشاعر الحقيقي هو (ابن خالة الشاعر) الذي كان يعمل حينها في مجال التدريس في ليبيا .

وهكذا قضى كاظم ٨ ثماني سنوات يشدو بكلماتها بينه وبين نفسه وينوع في لحنها إلى أن وصل إلى صاحب القصيدة فثبت على اللحن الرائع الذي نسمعه الآن .

قراءة النص :

يذكرنا الشاعر المرواني في هذه القصيدة بالعراء العذريين، ذلك أني بعد قراءتي الأولى للأبيات حسبته واحدا من بني عذرة قد بعث من جديد إذ تتضح في ثنايا الأبيات مالاقاه شاعرنا من آلام الجوى وتباريح النوى، ورياح الصد العاتية التي أدمت فؤاده وتركت فيه جرحا غائرا ، ماانفك ينزف كلما ذكر اسم فتاته التي هام بها، يشي بذلك خاتمة الابيات التي يتسائل فيها (هل ينمحي طيفك السحري من خلدي؟)وهويعلم جيدا أن الاستفهام غرضه النفي، فهو يقر دون أن يدري أنها معه لا تنمحي من ذكراه، **يقول** :

هل ينمحي طيفك السحري من خلدي؟

و هل ستشرق عن صبح وجناتي؟

ها أنت أيضا كيف السبيل إلى

أهلي ودونهم قفر المفازات؟

كتبت في كوكب المريخ لافتةً

أشكو بها الطائر المحزون آهاتي

وأنت أيضا ألا تبتْ يداكِ إذا

آثرت قتلي واستعذبت أناتي

من لي بحذف اسمك الشفاف من لغتي

إذا ستمسي بلا ليلى حكاياتي

إذا ستمسي بلا..ليلى حكايـــــاتي

في الجزء الأول من القصيدة يشكو الشاعر مدينته التي حرمت عليه وعلى أمثاله من الشباب عشق الفتيات ، فالعشق في ديدن مدينه رجس من عمل الشيطان، يقول :

يا للتعاسة من دعوى مدينتنا

فيها يعد الهوى كبرى الخطيئاتِ

نبض القلوب مورق عن قداستها

تسمع فيها أحاديث أقوال الخرافاتِ

عبارةٌ عُلِقَتْ في كل منعطفٍ

أعوذ بالله من تلك الحماقاتِ

عشقُ البناتِ حرامٌ في مدينتنا

عشق البناتِ طريقٌ للغوايات

إياك أن تلتقي يوما بامرأة

إياك إياك أن تفري الحبيباتِ

إن الصبابةَ عارٌ في مدينتنا

فكيف لو كان حبي للأميراتِ؟

ثم ينثني والها مكسور الوجدان يخاطب فتاته في ضراعة المحب الوامق معاتبا إياها مبينا أنها بهذا الصدود أماتت أزهار الحب التي غرسها في قلبه ورواها بوفائه وإخلاصه لها ن فضاعت ابتهالاته ، واستسلم لرياح اليأس العاتية :

سمراءُ ما كان حزنيْ عُمراً أبددُهُ

ولكني عاشقٌ و الحبُ مأساتيْ

الصبح أهدى إلى لأزهارِ قبلتَهُ

و العلقمُ المرقدُ أمسى بكاساتيْ

يا قبلةُ الحبِ يا من جئت أنشدُها

شعراً لعل الهوى يشفي جراحاتي

ذوت أزهار روحي و هي يابسة

ماتت أغاني الهوى ماتت حكاياتي

ماتت بمحراب عينيك ابتهالاتي

و استسلمت لرياح اليأس راياتي

جفت على بابك الموصود أزمنتي

ليلى و ما أثمرت شيئا نداءاتي

أنا الذي ضاع لي عامان من عمري

و باركت وهمي و صدقت افتراضاتي

عامان ما لاف لي لحن على وتر

و لا استفاقت على نور سماواتي

اعتق الحب في قلبي و أعصره

فأرشف الهم في مغبر كاساتي

و أودع الورد أتعابي و أزرعه

فيورق شوكا ينمو في حشاشاتِ

ما ضر لو عانق النيروز غاباتي

أو صافح الظل أوراقي الحزيناتِ

وهاهو يأسى عل السنين التسع التي قضاها بعد صدودها عنه ن ينعي فيها حظه العاثر ، بعد أن عاش آملا أن تفتح له كركوك أبوابها ، فإذا به يعود منها حاملا نعش حبه يتطع البوادي رح ' سامر القصيد ممزقا لا جب ولا ترف مبينا لها نظرتها المادية الدونية ؛ إذ رفضته لفقره وضيق عيشه ،يقول

لو كنت ذا ترف ما كنت رافضة

حبي...ولكن عسر الحال مأساتي

فإلى متى تظَل مشكاته تشكو نضوب الزيت في الوقت الذي تفيض فيه كل القناديل بنورها العذب ، واستمع إليه في عمق مأساته يقول :

سنينٌ تسعٌ مضتْ و الأحزانُ تسحقُنيْ
و مِتُ حتى تناستني صباباتيْ
تسعٌ على مركبِ الأشواقِ في سفرٍ
و الريح تعصف في عنفٍ شراعاتِ
طال انتظاري متى كركوك تفتح لي
دربا إليها فأطفي نار آهاتي
متى ستوصلني كركوك قافلتي
متى ترفرف يا عشاق راياتي
غدا سأذبح أحزاني و أدفنها
غدا سأطلق أنغامي الضحوكاتِ
ولكن نعتني للعشاق قاتلتي
إذا أعقبت فرحي شلال حيراتِ
فعدت أحمل نعش الحب مكتئبا
أمضي البوادي و أسماري قصيداتي
ممزق أنا لا جاه و لا ترف
يغريك فيّ فخليني لآهاتي
لو تعصرين سنين العمر أكملها

لسال منها نزيف من جراحاتي
كل القناديل عذبٌ نورُها وأنا
تظل تشكو نضوب الزيت مشكاتي
لو كنت ذا ترف ما كنت رافضة
حبي...ولكن عسر الحال مأساتي
فليمضغ اليأس أمالي التي يبست
و ليغرق الموج يا ليلى بضاعاتي

ولأن الشاعر يخشى شماتة الأعداء كما تقول العرب :

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الأعداء

لذلك فهو يمشي بين الناس مظهرا يجلده ، يخفي عنهم آلامه وتباريحه فهم يلومونه ويعتبون عليه افتتانه بعيونها الزرقاء ، وهم معذورون لأنهم لم يروا جمال عينيها وان الله تعالى عندما أبدع السموات لم يجعل لها إلاّ اللون الأزرق لأنه أجمل الألوان :

لاموا افتناني بزرقاء العيون ولو
رأوا جمال عينيك ما لاموا افتناناتي
لو لم يكن أجمل الألوان أزرقها
ما اختاره الله لونا للسماواتِ

وفي ختام قصيده يصيح صيحة ألم وحزن بعد أن رحلت سفنه وهاجرت وصارت ليلاه ملكا لآخر غيره ، بعد أن انخدعت بالبهرج الخداع

والذهب والياقوت ، وهاهو كالفراشة التي حامت حول الضوء حتى احترقت به ، وصار يصيح والسيف مغروس بخاصرته بعد أن حطم الغدر كل آماله وتطلعاته يقول :

واغربتاه...مضاعٌ هاجرتْ سفني
عني وما أبحرت منها شراعاتيْ
نفيتُ واستوطنَ الأغرابُ في بلديْ
ومزقوا كل أشيائي الحبيباتِ
خانتكِ عيناكِ في زيفٍ و في كذبٍ؟
أم غرك البهرج الخداع ..مولاتي؟
توغلي يا رماحَ الحقدِ في جسدي
ومزقي ما تبقى من حشاشاتي
فراشةٌ جئتُ ألقي كحل أجنحتي
لديك فاحترقت ظلماً جناحاتي
أصيح والسيف مزروع بخاصرتي
والغدر حطم أمالي العريضاتِ

إننا حين نقوم بقراءة هذا النص نلمس جيشان العاطفة وعرامة الإحساس وتدفقه في مفردات وعبارات النص ، وهذا الحشد الهائل من الصور والمحسنات نراها ماثلة في قوله :

- الصبابة عار ، تشبيه بليغ

- الصبح أهدى إلى الأزهار قبلته ، استعارة مكنية
- لعل الهوى يشفي جراحاتي ، استعارة مكنية
- جفت على بابك الموصود أزمنتي، جفت أزمنتي : استعارة مكنية
- أرشف الهم ، استعارة مكنية
- تسع على مركب الأشواق في سفر ، مركب الأشواق تشبيه بليغ
- غدا سأذبح أحزاني وأدفنها ، استعارة مكنية
- عدت أحمل نعش الحب ، نعش الحب تشبيه بليغ
- لو تعصرين سنين العمر ، استعارة مكنية
- توغلي يا رماح الحقد في جسدي ، رماح القد تشبيه بليغ
- الغدر حطم آمالي ، استعارة مكنية

ومن الأساليب الإنشائية :

- يا للتعاسة من دعوى مدينتنا نداء غرضه التعجب
- متى ترفرف يا عشاق راياتي ؟ يفيد التمني
- هل ينمحي طيفك السحري من خلدي ؟ استفهام يفيد النفي
- هل ستشرق عن صبح وجنات ؟ استفهام غرضه التمني

نهج
البردة أحمد شوقي

تنويه : (آثرت هنا أن أورد القصيدة كاملة لما فيها من متعة وجمال وشفيعي في ذلك أنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فليعذرني القارىء المحترم)

رِيـــمٌ عَـلـــى الـقـــاعِ بَـيـــنَ الـبـــانِ وَالـعَـلَـــمِ
حَـــلَّ سَـفـــكَ دَمـــي فـــي الأَشـهُـــرِ الـحُـــرُمِ
رَمـــى الـقَـضـــاءُ بِـعَـيـنَـي جُـــؤذَرٍ أَسَـــدًا
يـــا سـاكِـــنَ الـقـــاعِ أَدرِك ساكِـــنَ الأَجَـــمِ
لَـــمّـــا رَنَـــا حَـدَّثَـتـنـي الـنَـفـسُ قـائِـلَـــةً
يـــا وَيـــحَ جَنبِـكَ بِالسَهـمِ المُصيـبِ رُمـــي
جَحَدتُهـــا وَكَتَـمـــتُ الـسَـهـمَ فـــي كَـبِـــدي
جُـــرحُ الأَحِـبَّـــةِ عِـنـــدي غَـيـــرُ ذي أَلَـــمِ
رُزِقـــتَ أَسـمَـــحَ مـــا فـــي الـنـاسِ مِـــن خُـلُـــقٍ
إِذا رُزِقـــتَ اِلتِـمـــاسَ الـعُـــذرِ فـــي الشِـيَـــمِ
يـــا لائِـمـــي فـــي هَـــواهُ وَالـهَـــوى قَـــدَرٌ

لَـــو شَفَّـكَ الـوَجـدُ لَـــم تَـعـذِل وَلَـــم تَـلُـمِ
لَـقَـــد أَنَـلـتُـكَ أُذنًـــا غَـيـــرَ واعِـيَـــةٍ
وَرُبَّ مُـنـتَـصِـــتٍ وَالـقَـلـبُ فـــي صَـمَـــمِ
يـــا ناعِـــسَ الطَـرفِ لا ذُقـــتَ الـهَـــوى أَبَـــدًا
مُضـنـــاكَ فـــي حِـفـــظِ الـهَـــوى فَـنَـــمِ
أَفـديـــكَ إِلـفًـــا وَلا آلـــو الـخَـيـــالَ فِـــدًى
أَغـــراكَ بِـالـبُـخـلِ مَـــن أَغـــراهُ بِـالـكَـرَمِ
سَـــرى فَـصـــادَفَ جُـرحًـــا دامِـيًـــا فَـأَســـا
فَـضـــلٍ عَـلـــى الـعُـشّـــاقِ لِـلـحُـلُـــمِ
مَـــنِ الـمَـوائِـسُ بـانًـــا بِـالـرُبـى وَقَـنًـــا
بـــاتُ يـروحـــي الـسـافِـحـــاتُ دَمـــي
الـسـافِـــراتُ كَـأَمـثـالِ الـبُـــدورِ ضُـحًـــى
يُـغـرِنَ شَـمـــسَ الضُحـــى بِالحَلـيِ وَالعِصَـمِ
الـمـقـاتِـلاتُ بِـأَجـفـانٍ بِـهـــا سَـقَـــمٌ
وَلِـلـمَـنِـيَّـةِ أَســبـــابٌ مِـــنَ الـسَـقَـمِ
الـعـاثِـراتُ بِـأَلـبـابِ الـرِجـــالِ وَمـــا
أُقِـلـــنَ مِـــن عَـثَـراتِ الـــدَلِّ فـــي الـرَسَـمِ
الـمُـضـرِمـاتُ خُـــدودًا أَسـفَـــرَتْ وَجَـلَـــتْ

عَـــن فِـتـنَـةٍ تُـسـلِـمُ الأكـبـادَ لِـلـضَـرَمِ
الـحـامِـلاتُ لِـــواءَ الـحُـســنِ مُـخـتَـلِـفًـا
شـكـالُـهُ وَهـــوَ فَـــردٌ غَـيـرُ مُـنـقَـسِـمِ
مِـــن كُـــلِّ بَـيـضـاءَ أو سَـمـــراءَ زُيِّـنَـتـا
لِـلـعَـيـنِ وَالـحُـسـنُ فـــي الآرامِ كَـالـعُـصُـمِ
يُـرَعـــنَ لِـلـبَـصَـرِ الـسـامـي وَمِـــن عَـجَـبٍ
إذا أشَـــرنَ أسَـــرنَ الـلَـيـثَ بِـالـعَـنَـمِ
وَضَـعـتُ خَـــدّي وَقَـسَّـمـتُ الـفُـؤادَ رُبًـى
يَـرتَـعـنَ فـــي كُـنُـسٍ مِـنـهُ وَفـــي أكَـــمِ
يـــا بِـنـتَ ذي الـلَـبَـدِ الـمُـحَـمـيِّ جـانِـبُـهُ
أَلـقـالُ فـــي الـقـابِ أم أَلـقـالُ فـــي الأُطُـمِ
مـــا كُـنـتُ أعـلَـمُ حَـتّـى عَـــنَّ مَـسـكَـنُـهُ
أنَّ الـمُـنـى وَالـمَـنـايـا مَـضـرِبُ الـخِـيَـمِ
مَـــن أنـبَـتَ الـغُـصـنَ مِـــن صَـمـصـامَـةٍ ذَكَـــرٍ
وَأخـــرَجَ الـريـمَ مِـــن ضِـرغـامَـةٍ قَـــرِمِ
بَـيـنـي وَبَـيـنُـكِ مِـــن سُـمـرِ الـقَـنـا حُـجُـبٌ
وَمِـثـلُـهـا عِـفَّـةٌ عُـذرِيَّـةُ الـعِـصَـمِ

لَـــم أغـــشَ مَغنـــاكِ إلا فـــي غُـضـــونِ كِـــرًى
مَـغـنـــاكَ أبـــعَـــدُ لِـلـمُـشـتـــاقِ مِـــــن إرَمِ
يـــا نَـفـــسُ دُنـيـــاكِ تُـخـفـــى كُـــلَّ مُـبـكِـيَـةٍ
وَإن بَـــدا لَـــكِ مِـنـهـــا حُـســـنُ مُـبـتَـسَـمِ
فُـضّـــي بِـتَـقـــوالِكِ فـاهًـــا كُـلّـمـــا ضَـحِـكَـــتْ
كَـمـــا يَـفُـــضُّ أذى الـرَقـشـــاءِ بـالـثَـــرَمِ
مَـخـطـوبَـــةٌ مُـنـــذُ كـــانَ الـنـــاسُ خـاطِـبَـــةٌ
مِـــن أوَّلِ الـدَهـــرِ لَـــم تُـرمِـــل وَلَـــم تَـئَـــمِ
يَـفـنـــى الـزَمـــانُ وَيَـبـقـى مِـــن إساءَتِـهـــا
جُـــرحٌ بِـــآدَمَ يَـبـكـي مِـنـــهُ فـــي الأَدَمِ
لا تَـحـفَـلـــي بِـجَـنـاهـــا أو جِـنـايَـتِـهـــا
الـمَـوتُ بِـالـزَهـــرِ مِـثـــلُ الـمَـــوتِ بِالفَحَـــمِ
كَـــم نـائِـــمٍ لا يَـــراهـــا وَهـــيَ سـاهِـــرَةٌ
لَـــولا الأَمـانِـــيُّ وَالأَحـــلامُ لَـــم يَـنَـــمِ
طَـــورًا تَـمُـــدُّكَ فـــي نُـعـمـــى وَعـافِـيَـةٍ
وَتَـــارَةً فـــي قَـــرارِ الـبُـــؤسِ وَالـوَصَـــمِ
كَـــم ضَـلَّـلَـتـــكَ وَمَـــن تُـحـجَـب بَصيرَتُـهُ

إن يَلقَ صَابا يَرِد أو عَلفَمًا يَسُمُ

يا ويلَتاهُ لِنَفسي راعَها وَدَها

مُسوَدَّةُ الصُحفِ في مُبيَضَّةِ اللَمَمِ

رَكَضتُها في مَريعِ المَعصِياتِ وَما

أَخَذتُ مِن حِميَةِ الطاعاتِ لِلتُخَمِ

هامَت عَلى أَثَرِ اللَذّاتِ تَطلُبُها

وَالنَفسُ إِن يَدعُها داعي الصِبا تَهِمِ

صَلاحُ أَمرِكَ لِلأَخلاقِ مَرجِعُهُ

فَقَوِّمِ النَفسَ بِالأَخلاقِ تَستَقِمِ

وَالنَفسُ مِن خَيرِها في خَيرِ عافِيَةٍ

وَالنَفسُ مِن شَرِّها في مَرتَعٍ وَخِمِ

تَطغى إِذا مُكِّنَت مِن لَذَّةٍ وَهَوًى

طَغيَ الجِيادِ إِذا عَضَّت عَلى الشُكُمِ

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

إِن جَلَّ ذَنبي عَنِ الغُفرانِ لي أَمَلٌ

في اللَهِ يَجعَلُني في خَيرِ مُعتَصِمِ

أَلقى رَجائي إِذا عَزَّ المُجيرُ عَلى
مُفَرِّجِ الكَربِ في الدارَينِ وَالغَمَمِ
إِذا خَفَضتُ جَناحَ الذُلِّ أَسأَلُهُ
عِزَّ الشَفاعَةِ لَم أَسأَل سِوى أُمَمِ
وَإِن تَقَدَّمَ ذو تَقوى بِصالِحَةٍ
قَدَّمتُ بَينَ يَدَيهِ عَبرَةَ النَدَمِ
لَزِمتُ بابَ أَميرِ الأَنبِياءِ وَمَن
يُمسِك بِمِفتاحِ بابِ اللَهِ يَغتَنِمِ
فَكُلُّ فَضلٍ وَإِحسانٍ وَعارِفَةٍ
ما بَينَ مُستَلِمٍ مِنهُ وَمُلتَزِمِ
عَلَّقتُ مِن مَدحِهِ حَبلاً أُعَزُّ بِهِ
في يَومِ لا عِزَّ بِالأَنسابِ وَاللُحَمِ
يُزري قَريضي زُهَيرًا حينَ أَمدَحُهُ
وَلا يُقاسُ إِلى جودي نَدى هَرِمِ
مُحَمَّدٌ صَفوَةُ الباري وَرَحمَتُهُ
وَبُغيَةُ اللَهِ مِن خَلقٍ وَمِن نَسَمِ
وَصاحِبُ الحَوضِ يَومَ الرُسلِ سائِلَةً

مَتى الوُرودُ وَجِبريلُ الأَمينُ ظَمي
سَناؤُهُ وَسَناهُ الشَمسُ طالِعَةٌ
فَالجِرمُ في فَلَكٍ وَالضَوءُ في عَنَمِ
قَد أَخطَأَ النَجمَ ما نالَت أُبُوَّتُهُ
مِن سُؤدُدٍ باذِخٍ في مَظهَرٍ سَنِمِ
نُموا إِلَيهِ فَزادوا في الوَرى شَرَفًا
وَرُبَّ أَصلٍ لِفَرعٍ في الفَخارِ نُمي
حَواهُ في سُبُحاتِ الطُهرِ قَبلَهُمُ
نورانِ قاما مَقامَ الصُلبِ وَالرَحِمِ
لَمّا رَآهُ بَحيرًا قالَ نَعرِفُهُ
بِما حَفِظنا مِنَ الأَسماءِ وَالسِيَمِ
سائِل جِراءَ وَروحَ القُدسِ هَل عَلِما
مَصونَ سِرٍّ عَنِ الإِدراكِ مُنكَتِمِ
كَم جَيئَةٍ وَذَهابٍ شُرِّفَتْ بِهِما
بَطحاءُ مَكَّةَ في الإِصباحِ وَالغَسَمِ
وَوَحشَةٍ لِابنِ عَبدِ اللَهِ بَينَهُما
أَشهى مِنَ الأُنسِ بِالأَحسابِ وَالحَشَمِ

يُسامِرُ الوَحيَ فيها قَبلَ مَهبِطِهِ
وَمَن يُبَشِّر بسيما الخَيرِ يَتَّسِمِ
لَمّا دَعا الصَحبُ يَستَسقونَ مِن ظَمَإٍ
فاضَت يَداهُ مِنَ التَسنيمِ بِالسَنَمِ
وَظَلَّلَتهُ فَصارَت تَستَظِلُّ بِهِ
غَمامَةٌ جَذَبَتها خيرَةُ الدِيَمِ
مَحَبَّةٌ لِرَسولِ اللَهِ أُشرِبَها
قَمائِدُ الدَيرِ وَالرُهبانُ في القِمَمِ
إِنَّ الشَمائِلَ إِن رَقَّت يَكادُ بِها
يُغرى الجَمادُ وَيُغرى كُلُّ ذي نَسَمِ
وَنودِيَ إِقرَأ تَعالَى اللهُ قائِلُها
لَم تَتَّصِل قَبلَ مَن قيلَت لَهُ بِفَمِ
هُناكَ أَذَّنَ لِلرَحمَنِ فَامتَلأَتْ
أَسماعُ مَكَّةَ مِن قُدسيَّةِ النَغَمِ
فَلا تَسَل عَن قُرَيشٍ كيفَ حَيرَتُها
وَكَيفَ نُفرَتُها في السَهلِ وَالعَلَمِ
تَساءَلوا عَن عَظيمٍ قَد أَلَمَّ بِهِم

رَمـــى المَشـايـخَ وَالـولـدانِ بـالـلَـمَـمِ

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

يـــا جـاهِـلـيـنَ عَـلـى الـهـادي وَدَعـوَتِـهِ
هَـــل تَـجـهَـلـون مَـكـانَ الـصـادِقِ العَـلَـمِ؟
لَقَّبتُموهُ أَمـيـنَ الـقَـومِ فـي صِـغَـرٍ
وَمـــا الأَمـيـن عَـلـى قَـولٍ بِـمُـتَّـهَـمِ
فـــاق ـــدورَ وَفـــاقَ الأَنـبـيـاءَ فَـكَـمْ
خُـلـقٍ وَالخَـلـقِ مِـن حُـسـنٍ وَمِـن عِـظَـمِ

جـــاءَ الـنـبـيّـونَ بـالآيـاتِ فَـرِبـه ـَـمَـتْ
وَجِـئـتَـنـا بِـحَـكـيـمٍ غَـيـرِ مُـنـصـرِمِ
آيـاتُـهُ كُـلَّـمـا طـــالَ الـمَـدى جُـــدُدٌ
يَـزيـنُـهُـنَّ جَـــلالُ الـعِـتـقِ وَالـقِـدَمِ
يَـكـادُ فـــي لَـفـظَـةٍ مِـنـهُ مُـشَـرَّفَـةٍ
يـوصـيـكَ بِـالـحَـقِّ وَالـتَـقـوى وَبِـالـرَحِـمِ
يـــا أَفـصَـحَ الناطِقـيـنَ الـضـادَ قـاطِـبَـةً
حَـدَتْـكَ الـشَـهـدُ عِـنـدَ الـذائِـقِ الـفَـهِـمِ

حَلَّيتَ مِن عَطَلٍ جِيدَ البَيانِ بِهِ
فِي كُلِّ مُنتَثِرٍ فِي حُسنِ مُنتَظِمِ
بِكُلِّ قَولٍ كَرِيمٍ أَنتَ قائِلُهُ
تُحيِي القُلوبَ وَتُحيِي مَيِّتَ الهِمَمِ
سَرَت بَشائِرُ بِالهادي وَمَولِدِهِ
في الشَرقِ وَالغَربِ مَسرى النورِ في الظُلَمِ
تَخطَّفَتْ مُهَجَ الطاغِينَ مِن عَرَبٍ
وَطَيَّرَت أَنفُسَ الباغِينَ مِن عُجُمِ
ريعَت لَها شَرَفُ الإِيوانِ فَانصَدَعَتْ
مِن صَدمَةِ الحَقِّ لا مِن صَدمَةِ القُدُمِ
أَتَيتَ وَالناسُ فَوضى لا تَمُرُّ بِهِمْ
إِلا عَلى صَنَمٍ قَد هامَ في صَنَمِ
وَالأَرضُ مَملوءَةٌ جَوراً مُسَخَّرَةٌ
لِكُلِّ طاغِيَةٍ في الخَلقِ مُحتَكِمِ
مُسَيطِرُ الفُرسِ يَبغي في رَعِيَّتِهِ
وَقَيصَرُ الرومِ مِن كِبرٍ أَصَمُّ عَمِ

يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُبَهٍ
وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالغَنَمِ
وَالخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ
كَاللَّيْثِ بِالبَهْمِ أَوْ كَالحُرِّ بِالبَلَمِ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلاً إِذْ مَلَائِكُهُ
وَالرُّسْلُ فِي المَسْجِدِ الأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ اِلْتَفُّوا بِسَيِّدِهِمْ
كَالشُّهْبِ بِالبَدْرِ أَوْ كَالجُنْدِ بِالعَلَمِ
صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ
وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللهِ يَأْتَمِمِ
جُبْتَ السَّمَاوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجُمِ
رَكُوبَةٌ لَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ
لَا فِي الجِيَادِ وَلَا فِي الأَيْنُقِ الرُّسُمِ
مَشِيئَةُ الخَالِقِ البَارِي وَصَنْعَتُهُ
وَقُدْرَةُ اللهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالتُّهَمِ

حَتّى بَلَغتَ سَماءً لا يُطارُ لَها
عَلى جَناحٍ وَلا يُسعى عَلى قَدَمِ
وَقيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِندَ رُتبَتِهِ
وَيا مُحَمَّدُ هَذا العَرشُ فَاستَلِمِ
خَطَطتَ لِلدينِ وَالدُنيا عُلومَهُما
يا قارِئَ اللَوحِ بَل يا لامِسَ القَلَمِ
أَحَطتَ بَينَهُما بِالسِرِّ وَانكَشَفَت
لَكَ الخَزائِنُ مِن عِلمٍ وَمِن حِكَمِ
وَضاعَفَ القُربُ ما قُلِّدتَ مِن مِنَنٍ
بِلا عِدادٍ وَما طُوِّقتَ مِن نِعَمِ
سَل عُصبَةَ الشِركِ حَولَ الغارِ سائِمَةً
لَولا مُطارَدَةُ المُختارِ لَم تُسَمَ
هَل أَبصَروا الأَثَرَ الوَضّاءَ أَم سَمِعوا
هَمسَ التَسابيحِ وَالقُرِ مِن أُمَمِ
وَهَل تَمَثَّلَ نَسجُ العَنكَبوتِ لَهُمْ
كَالغابِ وَالحائِماتُ الزُغبُ كَالرُخَمِ

فَـــأدبَـــروا وَوُجـــــوهُ الأرضِ تَـلـعَـنُـهُـمْ

كَـبـاطِـلٍ مِـــن جَـــلالِ الـحَـــقِّ مُـنـهَـزِمِ

لَـــولا يَـــدُ اللهِ بـالـجـارَيـنِ مـــا سَـلِـمـا

وَعَـيـنُـهُ حَـــولَ رُكـــنِ الـديـنِ لَـــم يَـقُـمِ

تَـــوارَيـــا بِـجَـنـاحِ اللهِ وَاسـتَـتَـرا

وَمَـــن يَـضُـمُّ جَـنـاحُ اللهِ لا يُـضَـمِ

يـــا أَحـمَـدَ الـخَـيـرِ لـي جـــاهٌ بِتَسمِيَتي

وَكَـيـفَ لا يَـتَـسـامـى بـالـرَسـولِ سَـمـي؟

الـمـادِحـونَ وَأَربـــابُ الـهَـوى تَـبَـعٌ

لِـصـاحِـبِ الـبُـردَةِ الفَـيـحـاءِ ذي الـقَـدَمِ

مَـديـحُـهُ فـيـكَ حُـــبٌّ خـالِـصٌ وَهَـــوًى

وَصـادِقُ الـحُـبِّ يُـمـلـي صـادِقَ الـكَـلِـمِ

اللهُ يَـشـهَـدُ أَنّـــي لا أُعـــارِضُـهُ

مِـــن ذا يُـعـارِضُ صَـــوبَ الـعـارِضِ الـعَـرِمِ

وَإِنَّـمـا أَنـــا بَـعـضُ الـغـابطيـنَ وَمَـــنْ

يَـغـبـط وَلِـيَّـكَ لا يُـذمَـم وَلا يُـلَـمِ

هَـــذا مَـقـامٌ مِـــنَ الـرَحـمَـنِ مُـقـتَـبَـسٌ
تَـــرمـــي مَـهـابَـتُـهُ سَـحـبـانَ بِـالـبَـكَـمِ
الـبَـدرُ دونَـــكَ فـــي حُـســنٍ وَفـــي شَـــرَفٍ
وَالـبَـحـرُ دونَـــكَ فـــي خَـيـرٍ وَفـــي كَـــرَمِ
شُـــمُّ الـجِـبـــالِ إِذا طاوَلـتَـهـا انـخَـفَـضَـتْ
وَالأَنـجُـــمُ الـزُهـــرُ مـــا واسَـمـتَـهـا تَـسِـمِ
وَالـلَـيـثُ دونَـــكَ بَـأسًـــا عِـنـــدَ وَثـبَـتِـهِ
إِذا مَـشَـيـــتَ إِلـــى شـاكـــي الـسِـلاحِ كَـمـــي
تَـهـفـــو إِلَـيـــكَ وَإِن أَدمَـيـــتَ حَـبَّـتَـهـا
فـــي الـحَـــربِ أَفـئِـــدَةُ الأَبـطـــالِ وَالـبُـهَـمِ
مَـحَـبَّـــةَ الـلَـــهِ أَلـقـاهـا وَهَـيـبَـتُـهُ
عَـلـــى إِبـــنِ آمِـنَـــةٍ فـــي كُـــلِّ مُـصـطَـدَمِ
كَـــأَنَّ وَجـهَـكَ تَـحـــتَ النَـقـعِ بَـــدرُ دُجًـــى
يُـضـــيءُ مُـلـتَـثِـمًـا أَو غَـــرَ مُـلـتَـثِـمِ
بَـــدرٌ تَـطَـلَّـعَ فـــي بَـــدرٍ فَـغُـرَّتُـهُ
كَـغُـــرَّةِ الـنَـصـرِ تَـجـلـو داجِـــيَ الـظُـلَـمِ
ذُكِـــرتَ بِـالـيُـتـمِ فـــي الـقُـــرآنِ تَـكـرِمَـةً

وَقيمَةُ اللُؤلُؤِ المَكنونِ في اليُتُمِ
اللهُ قَسَّمَ بَينَ الناسِ رِزقَهُمُ
وَأَنتَ خُيِّرتَ في الأَرزاقِ وَالقِسَمِ
إِن قُلتَ في الأَمرِ «لا» أَو قُلتَ فيهِ «نَعَم»
فَخيرَةُ اللهِ في «لا» مِنكَ أَو «نَعَم»
أَخوكَ عيسى دَعا مَيتًا فَقامَ لَهُ
وَأَنتَ أَحيَيتَ أَجيالاً مِنَ الرِمَمِ
وَالجَهلُ مَوتٌ فَإِن أوتيتَ مُعجِزَةً
فَابعَث مِنَ الجَهلِ أو فَابعَث مِنَ الرَجَمِ
قالوا غَزَوتَ وَرُسلُ اللَهِ ما بُعِثوا
لِقَتلِ نَفسٍ وَلا جاؤوا لِسَفكِ دَمِ
جَهلٌ وَتَضليلُ أَحلامٍ وَسَفسَطَةٌ
فَتَحتَ بِالسَيفِ بَعدَ الفَتحِ بِالقَلَمِ
لَمّا أَتى لَكَ عَفوًا كُلُّ ذي حَسَبٍ
تَكَفَّلَ السَيفُ بِالجُهّالِ وَالعَمَمِ
وَالشَرُّ إِن تَلقَهُ بِالخَيرِ ضِقتَ بِهِ

ذرعًا وَإِن تَلقَهُ بِالشَرِّ يَنحَسِمِ

سَلِ المَسيحِيَّةَ الغَرّاءَ كَم شَرِبَتْ

بِالصابِ مِن شَهَواتِ الظالِمِ الغَلِمِ

طَريدَةُ الشِركِ يُؤذيها وَيوسِعُها

في كُلِّ حينٍ قِتالاً ساطِعَ الحَدَمِ

لَولا حُماةٌ لَها هَبّوا لِنُصرَتِها

بِالسَيفِ ما انتَفَعَت بِالرِفقِ وَالرُحَمِ

لَولا مَكانٌ لِعيسى عِندَ مُرسِلِهِ

وَحُرمَةٌ وَجَبَت لِلروحِ في القِدَمِ

لَصُيِّرَ البَدَنُ الطُهرُ الشَريفُ عَلى

لَوحَينِ لَم يَخشَ مُؤذيهِ وَلَم يَحِمِ

جَلَّ المَسيحُ وَذاقَ الصَلبَ شانِئُهُ

إِنَّ العِقابَ بِقَدرِ الذَنبِ وَالجُرُمِ

أَخو النَبِيِّ وَروحُ اللهِ في نُزُلٍ

فَوقَ السَماءِ وَدونَ العَرشِ مُحتَرَمِ

عَلَّمتُهُمْ كُلَّ شَيءٍ يَجهَلونَ بِهِ

حَتّى القِتالَ وَما فيهِ مِنَ الذِّمَمِ
دَعَوتَهُمْ لِجِهادٍ فيهِ سُؤدُدُهُمْ
وَالحَربُ أُسُّ نِظامِ الكَونِ وَالأُمَمِ
لَولاهُ لَم تَرَ لِلدَولاتِ في زَمَنٍ
ما طالَ مِن عُمُدٍ أو قَرَّ مِن دُهُمِ
تِلكَ الشَواهِدُ تَترى كُلَّ آوِنَةٍ
في الأَعصُرِ الغُرِّ لا في الأَعصُرِ الدُهُمِ
يالأَمسِ مالَت عُروشٌ وَاعتَلَتْ سُرُرٌ
لَولا البَقَذائِفُ لَم تَثلَمْ وَلَم تَصُمِ
أَشياعُ عيسى أَعَدّوا كُلَّ قاصِمَةٍ
وَلَم تُعِدَّ سِوى حالاتِ مُنقَصِمِ
مَهما دُعيتَ إِلى الهَيجاءِ قُمتَ لَها
تَرمي بِأُسْدٍ وَيَرمي اللهُ بِالرُجُمِ
عَلى لِوائِكَ مِنهُم كُلُّ مُنتَقِمٍ
للهِ مُستَقتِلٍ في اللهِ مُعتَزِمٍ
مُسَبِّحٍ لِلِقاءِ اللهِ مُضطَرِمِ

شَوقًا عَلى سابِخٍ كَالبَرقِ مُضطَرِمِ
لَو صادَفَ الدَهرَ يَبغي نَقلَةً فَرَمى
بِعَزمِهِ في رِحالِ الدَهرِ لَم يَرِمِ
بيضٌ مَفاليلُ مِن فِعلِ الحُروبِ بِهِمْ
مِن أَسيُفِ اللهِ لا الهِندِيَّةُ الخُذُمُ
كَم في التُرابِ إِذا فَتَّشتَ عَن رَجُلٍ
مَن ماتَ بِالعَهدِ أَو مَن ماتَ بِالقَسَمِ
لَولا مَواهِبُ في بَعضِ الأَنامِ لَما
تَفاوَتَ الناسُ في الأَقدارِ وَالقِيَمِ
شَريعَةٌ لَكَ فَجَّرتَ العُقولَ بِها
عَن زاخِرٍ بِصُنوفِ العِلمِ مُلتَطِمِ
يَلوحُ حَولَ سَنا التَوحيدِ جَوهَرُها
كَالحَلي لِلسَيفِ أَو كَالوَشيِ لِلعَلَمِ
غَرّاءُ حامَتْ عَلَيها أَسٌ وَنُهًى
وَمَن يَجِد سَلسَلاً مِن حِكمَةٍ يَحُمِ
نورُ السَبيلِ يُساسُ العالَمونَ بِها

تَكَفَّلَتْ بِشَبابِ الدَّهرِ وَالهَرَمِ
يَجري الزَمانُ وَأَحكامُ الزَمانِ عَلى
حُكمٍ لَها نافِذٍ في الخَلقِ مُرتَسِمِ
لَمّا اعتَلَت دَولَةُ الإِسلامِ وَاتَّسَعَتْ
مَشَتْ مَمالِكُهُ في نورِها التَّمَمِ
وَعَلَّمَتْ أُمَّةً بِالقَفرِ نازِلَةً
رَعيَ القَياصِرِ بَعدَ الشاءِ وَالنَعَمِ
كَم شَيَّدَ المُصلِحونَ العامِلونَ بِها
في الشَرقِ وَالغَربِ مُلكًا باذِخَ العِظَمِ
لِلعِلمِ وَالعَدلِ وَالتَمدينِ ما عَزَموا
مِنَ الأُمورِ وَما شَدّوا مِنَ الحُزُمِ
سُرعانَ ما فَتَحوا الدُنيا لِمِلَّتِهِمْ
وَأَنهَلوا النَاسَ مِن سَلسالِها الشَبِمِ
ساروا عَلَيها هُداةَ الناسِ فَهيَ بِهِمْ
إِلى الفَلاحِ طَريقٌ واضِحُ العَظَمِ
لا يَهدِمُ الدَهرُ رُكنًا شادَ عَدلَهُمُ

وَحـائِـطُ الـبَـغـيِ إِن تَـلـمَـسـهُ يَـنـهَـدِمِ

نـالـوا الـسَـعـادَةَ فـي الـداريـنِ وَاجتَمَعوا

عَـلـى عَـمـيـمٍ مِـنَ الـرُضـوانِ مُـقـتَـسَـمِ

دَع عَـنـكَ رومـا وآثـيـنـا وَمـا حَـوَتـا

كُـلُّ الـيَـواقـيـتِ فـي بَـغـدادَ وَالـتُـومِ

وَخَـلِّ كِـسـرى وَإِيـوانًـا يَـدِلُّ بِـهِ

هَـوى عَـلـى أَثَـرِ الـنـيـرانِ وَالأَيـمِ

وَاتـرُكْ رَعـمَـسـيـسَ إِنَّ الـمُـلـكَ مَـظـهَـرُهُ

فـي نَـهـضَـةِ الـعَـدلِ لا فـي نَـهـضَـةِ الـهَـرَمِ

دارُ الـشَـرائِـعِ رومـا كُـلَّـمـا ذُكِـرَتْ

دارُ الـسَـلامِ لَـهـا أَلـقَـتْ يَـدَ الـسَـلَـمِ

مـا ضارَعَـتـهـا بَـيـانًـا عِـنـدَ مُـلـتَـأَمٍ

وَلا حَـكَـتـهـا قَـضـاءً عِـنـدَ مُـخـتَـصَـمِ

وَلا احـتَـوَت فـي طِـرازٍ مـن قَـياصِـرِهـا

عَـلـى رَشـيـدٍ وَمَـأمـونٍ وَمُـعـتَـصِـمِ

مَـنِ الَّـذيـنَ إِذا سـارَت كَـتـائِـبُـهُـمْ

تَـصَـرَّفـوا بِـحُـدودِ الأَرضِ وَالـتُـخَـمِ

وَيَجلِسونَ إِلى عِلمٍ وَمَعرِفَةٍ
فَلا يُدانونَ في عَقلٍ وَلا فَهَمِ
يُطَأطِئُ العُلَماءُ الهامَ إِن نَبَسوا
مِن هَيبَةِ العِلمِ لا مِن هَيبَةِ الحُكُمِ
وَيُمطَرونَ فَما بِالأَرضِ مِن مَحَلٍ
وَلا بِمَن باتَ فَوقَ الأَرضِ مِن عُدُمِ
خَلائِفُ اللهِ جَلّوا عَن مُوازَنَةٍ
فَلا تَقيسَنَّ أَملاكَ الوَرى بِهِمِ
مَن في البَرِيَّةِ كَالفاروقِ مَدلَةً
وَكَابنِ عَبدِ العَزيزِ الخاشِعِ الحَشِمِ
وَكَالإِمامِ إِذا ما فَضَّ مُزدَحِمًا
بِمَدمَعٍ في مَآقي القَومِ مُزدَحِمِ
الزاخِرُ العَذبُ في عِلمٍ وَفي أَدَبٍ
وَالناصِرُ النَدبُ في حَربٍ وَفي سَلَمِ
أَو كَابنِ عَفّانَ وَالقُرآنُ في يَدِهِ
يَحنو عَلَيهِ كَما تَحنو عَلى الفُطُمِ

وَيَجمَعُ الآيَ تَرتيبًا وَيَنظُمُها
عِقدًا يَجيءِ اللَيالي غَيرَ مُنفَصِمِ
جُرحانِ في كَبدِ الإِسلامِ ما اِلتَأَما
جُرحُ الشَهيدِ وَجُرحٌ بِالكِتابِ دَمي
وَما بَلاءُ أَبي بَكرٍ يُمُثَّهَمِ
بَعدَ الجَلائِلِ في الأَفعالِ وَالخِدَمِ
بِالحَزمِ وَالعَزمِ حاطَ الدينَ في مِحَنٍ
أَضَلَّتِ الحُلمَ مِن كَهلٍ وَمُحتَلِمِ
وَجِدنَ بِالراشِدِ الفاروقِ عَن رُشدٍ
في المَوتِ وَهوَ يَقينٌ غَيرُ مُنبَهِمِ
يُجادِلُ القَومَ مُستَلًّا مُهَنَّدَهُ
في أَعظَمِ الرُسلِ قَدرًا كَيفَ لَم يَدُمِ
لا تَعذِلوهُ إِذا طافَ الذُهولُ بِهِ
ماتَ الحَبيبُ فَضَلَّ الصَـ ـبُ عَن رَغَمِ
يا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّم ما أَرَدتَ عَلى
نَزيلِ عَرشِكَ خَيرِ الرُسلِ كُلِّهِمِ

مُحيي اللَيالي صَلاةً لا يُقَطِّعُها
إلا بِدَمعٍ مِنَ الإشفاقِ مُنسَجِمِ
مُسَبِّحًا لَكَ جُنحَ اللَيلِ مُحتَمِلاً
ضُرًّا مِنَ السُهدِ أو ضُرًّا مِنَ الوَرَمِ
رَضِيَّةٌ نَفسُهُ لا تَشتَكي سَأمًا
وَما مَعَ الحُبِّ إن أخلَصتَ مِن سَأمِ
وَصَلِّ رَبِّي عَلى آلٍ لَهُ نُخَبٍ
جَعَلتَ فيهِم لِواءَ البَيتِ وَالحَرَمِ
بيضُ الوُجوهِ وَوَجهُ الدَهرِ ذو حَلَكٍ
شُمُّ الأُنوفِ وَأَنفُ الحادِثاتِ حَمى
وَأَهدِ خَيرَ صَلاةٍ مِنكَ أَربَعَةً
في الصَحبِ صُحبَتُهُم مَرعِيَّةُ الحُرَمِ
الراكِبينَ إِذا نادى النَبِيُّ بِهِمْ
ما هالَ مِن جَلَلٍ وَاشتَدَّ مِن عَمَمِ
الصابِرينَ وَنَفسُ الأَرضِ واجِفَةٌ
الضاحِكينَ إِلى الأَخطارِ وَالقُحَمِ

يـــا رَبِّ هَـبَّـتْ شُـعـــوبٌ مِـــن مَنِيَّتِهـا
وَاستَيقَظَـت أُمَـــمٌ مِـــن رَقـــدَةِ الـعَـــدَمِ
سَـعـــدٌ وَنَـحـــسٌ وَمُـلـــكٌ أَنـــتَ مالِـكُـهُ
تُـديـلُ مِـــن نِـعَـمٍ فـيـهِ وَمِـــن نِـقَـمِ
رَأى قَـضـــاؤُكَ فـيـنـــا رَأيَ حِـكـمَـتِـهِ
أَكـــرِم بِوَجـهِـكَ مِـــن قـــاضٍ وَمُـنـتَـقِـمِ
فَـالـطُـف لأَجـــلِ رَسـولِ العالَمينَ بِـنـا
وَلا تَـــزِد قَـومَـــهُ خَـسـفًـا وَلا تُـسِـــمِ
يـــا رَبِّ أَحسَـنـتَ بَـدءَ المُسلِمينَ بِـــهِ
فَـتَـمِّـمِ الـفَـضـلَ وَامـنَـح حُـســنَ مُختَتَمِ

قراءة النص :

على غرار القدماء يبدأ أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدته بالغزل :

رِيـــمٌ عَـلـى الـقـاعِ بَـيـنَ الـبـانِ وَالـعَـلَـمِ
أَحَـلَّ سَـفـكَ دَمـي فـي الأَشـهُـرِ الـحُـرُمِ
رَمـــى الـقَـضـاءُ بِـعَـيـنَـي جُـــؤذَرٍ أَسَـــدًا
يـــا سـاكِـنَ الـقـاعِ أَدرِك ساكِـنَ الأَجَـمِ
لَـمّـا رَنَـــا حَـدَّثَـتـنـي الـنَـفـسُ قـائِـلَـةً
يـا وَيـحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي
جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي
جُـرحُ الأَحِبَّةِ عِـنـدي غَـيـرُ ذي أَلَـمِ
رُ ـ ـ سَمَحَ مـا فـي الـنـاسِ مِـن خُـلُـقٍ
إِذا رُزِقـتَ اِلتِـمـاسَ الـعُـذرِ فـي الشِـيَـمِ
يـا لائِـمـي فـي هَـواهُ وَالـهَـوى قَـدَرٌ
لَـو شَـفَّكَ الـوَجـدُ لَـم تَـعـذِل وَلَـم تَـلُـمِ
لَـقَـد أَتَـلـتُـكَ أُذنًـا غَـيـرَ واعِـيَـةٍ
وَ ـ ـ ـ ـتٍ وَالـقَـلـبُ فـي صَـمَـمِ

يـــا ناعِـــسَ الطَّـــرفِ لا ذُقـــتَ الـهَـــوى أَبَـــدًا
أَسهَـــرتَ مُضنـــاكَ فـــي حِفـــظِ الـهَـــوى فَنَـــمِ

ثم يمضي متحدثا عن الدنيا ، وأن نعيمها زائل ، وهي لا تبقى على حال ، لذا يحذر من بطشها وغدرها يقول :

يـــا نَـفـــسُ دُنـيـــاكِ تُـخفـــى كُـــلَّ مُبكِيَـــةٍ
وَإِن بَـــدا لَـــكِ مِـنـهـــا حُـســـنُ مُبـتَسَـمِ
فُـضّـــي يـتَـقـــوالكِ فـاهًـــا كُـلّـمـــا ضَـحِـكَـــتْ
كَـمـــا يَـفُـــضُّ أَذى الـرَقـشـــاءِ بِـالـثَـــرَمِ
مَـخـطـوبَـــةٌ مُـنـــذُ كـــانَ الـنـــاسُ خـاطِـبَـــةٌ
مِـــن أَوَّلِ الـدَهـــرِ لَـــم تُـرمِـل وَلَـــم تَـنَـــمِ
يَـفـنـــى الـزَمـــانُ وَيَـبـقـــى مِـــن إِسـاءَتِـهـــا
جُـــرحٌ بِـــآدَمَ يَـبـكـــي مِـنـــهُ فـــي الأَدَمِ
لا تَـحـفَـلـــي بِـجَـنـاهـــا أَو جِـنـايَـتِـهـــا
الـمَـــوتُ بِـالـزَهـــرِ مِـثـــلُ الـمَـــوتِ بِالفَحَـمِ
كَـــم نـائِـــمٍ لا يَـــراهـــا وَهـــيَ سـاهِـــرَةٌ
لَـــولا الأَمـانِـــيُّ وَالأَحـــلامُ لَـــم يَـنَـــمِ
طَـــورًا تَـمُـــدُّكَ فـــي نُـعـمـــى وَعـافِـيَـــةٍ

وَتـــارَةً فـــي قَـــرارِ الـبُـــؤسِ وَالـــوَصَـــمِ

أما مديحه للنبي ﷺ فقد استغرق باقي النص ، أبان فيه عن حياة المعصوم ﷺ منذ صغره حتى نشر الدعوة الغراء وانتشارها في بلاد فارس وبلاد الروم ، وما في دعوته الطاهرة من قيم وهداية للعالمين جميعا .

فاليتم فيه ﷺ لبس عيبا ، ويبين شوقي أن اليتم هنا يعنى التفرد كالدرة النادرة تكون يتيمة بين أترابها ، يقول :

ذُكِـــرتَ بـالـيُـتـمِ فـــي الـقُـــرآنِ تَـكـرِمَـةً

وَقـيـمَـةُ الـلُـؤلُـؤِ الـمَـكـنـونِ فـــي الـيُـتُـمِ

وانظر إلى الصفات الطيبة التي ينعته بها :

الـبَـدرُ دونَـــكَ فـــي حُـسـنٍ وَفـــي شَـــرَفٍ

وَالـبَـحـرُ دونَـــكَ فـــي خَـيـرٍ وَفـــي كَـــرَمِ

شُـــمُّ الـجِـبـــالِ إِذا طـاوَلـتَـهـــا انـخَـفَـضَـتْ

وَالأَنـجُـــمُ الـزُهـــرُ مـــا واسَـمـتَـهـا تَـسِـــمِ

وَالـلَـيـثُ دونَـــكَ بَـأسًـــا عِـنـــدَ وَثـبَـتِـهِ

إِذا مَـشَـيـــتَ إِلـــى شـاكـــي الـسِـــلاحِ كَـمـــي

وهذه البردة كتبها شوقي معارضا بردة البوصيري التي قالها في مدح المصطفى ﷺ ، وفى سبب نظم القصيدة نقل عن كتاب "فوات الوفيات"

للكتبى أن البوصيرى أصيب بالفالج وهو شلل نصفى عانى منه مدة من الزمن حتى عجز عن الانقلاب من جنب إلى جنب في الفراش، فعزم على أن ينظم قصيدة في مدح رسول الله يستشفع بها إلى الله، عساه ينجيه مما به. فلما نظمها أنشدها مرارًا وأكثر من الدعاء والبكاء، ونام فرأى النبي ﷺ في المنام ومسح على ما به من الوجع، ثم ألقى عليه بردته. فانتبه وقد عوفى من فوره.

وشاع خبر القصيدة والمنام في مصر حتى أن وزير الظاهر بيبرس نسخها ونذر أن لا يسمعها إلا وهو قائم على قدميه حافيا مكشوف الرأس..ثم اشتهرت في سائر بلاد الإسلام.

والخطاب الشعري في هذه القصيدة يبرز عاطفة قوية ، وأحاسيس دفاقة تبرزها الألفاظ ، وهي من القصائد الطوال تتناول سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويبرز ما كان يتحلى به من صفات .

وقد اتخذ الشاعر من بحر البسيط مطية يصل بها إلى غايته ، كما جاء قافية الميم المكسورة مناسبة لما في النص من أساليب ومعان .

أما أساليب الشاعر فتتنوع بين الخبر والإنشاء ، وإن كان الأسلوب الخبري هو الغالب في تناغم طيب .

من الأساليب الإنشائية :

- هل تجهلون مكان الصادق العلم ؟ استفهام يفيد النفي .
- يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم . نداء غرضه الالتماس .

- يارب أحسنت بدء المسلمين به . نداء للتضرع والالتماس .
- فتمم الفضل وامنح حسن مختتم . أمر غرضه الالتماس والطلب .

ومن الصور الجمالية :

- سائل حراء . استعارة مكنية .
- خفضت جناح الذل . استعارة مكنية .
- تطغى طغي الجياد . تشبيه .
- مغناك أبعد للمشتاق من إرم . كناية

ومن المحسنات البديعية :

- كم نائم لا يراها وهي ساهرة . طباق
- رب أصل لفرع في الفخار نمي . طباق
- لا تخفلي بجناها أو جنايتها . جناس
- سناؤه وسناه الشمس طالعة . جناس

وفقنا الله جميعا لما فيه الخير والرشاد .

obeikandl.com

المراجع

١- أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر القاهرة : دار المدني ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.

٢- إعجاز القرآن للباقلاني.تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة : دار المعارف ط٣ ، ١٩٧١ م

٣- التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، محمد مفتاح الدار البيضاء، ط. ١ ، ١٩٩٤.

٤- السيمياء العامة وسيمياء الأدب، عبد الواحد المرابط الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيوت، لبنان ط. ١، ٢٠١٠ .

٥- القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. ١ ، ٢٠٠٣.

٦- النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ونماذج . الدكتور : الشاهد البوشيخي ، المغرب

٧- دلائل الإعجاز . تحقيق محمود محمد ـ ـر ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ط١ ، ١٩٩١ م .

٨- دليل الناقد الأدبي . د ميجان الرويلي ، د سعد البازغي : المركز الثقافي العربي المغرب ، ط٤ ، ٢٠٠٥

٩- ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية،حققه: أحمد بدوي حامد عبد المجيد، راجعه : طه حسين ، المطبعة الأميرية / القاهرة ١٩٥١ م
١٠ - ضفاف(مجلة إبداعية ثقافية)- فبراير ٢٠٠٤ ،العدد: ٦ - مؤسسة النخلة للكتاب.
١١ - فعل القراءة: نظرية جمالية التجاوب في الأدب، فولفغانغ إيزر- ت: د. حميد لحمداني، د. الجلالي الكدية - مكتبة المناهل فاس- ب ط.
١٢ - قراءة النص وجماليات، بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي (دراسة مقارنة) ، د. محمود عباس عبد الواحد- دار الفكر العربي، مدينة نصر- ط: الأولى ١٩٩٦م.
١٣- مناهج النقد المعاصر ، د صلاح فضل: دار الآفاق العربية القاهرة ط١٩٩٧ ،١.
١٤ - من قضايا التلقي والتأويل، أحمد بو حسن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة الملك محمد الخامس ، الرباط ، ١٩٩٥ م
١٥- موقع(قربى العلم والثقافة) نظريات القراءة والتلقي د / جميل حمداوي .